د. حسن عبد الله شرف

النقد في العصر الوسيط

والمصطلح في طبقات ابن سلام

١٩٨٤

تَمهيد

جاء اختياري ، موضوع رسالتي ، توطيناً لأمل واكبني ، على الدرب إلى التحصيل الأكادمي ، بإمكانية التوفر على دراسة تراثنا الأدبي والفكري من نافذة استنطاق تراثنا النقدي . فيحفز ماضي القوم حاضرهم ، ويصل ما اتسع بما كاد ينقطع . ولعمري ان تقويم الأدب : عهدة النقد ويقظة الفكر على صورة الأدب ، واعداً بالأبدع والأمثل .

وكنت قد غادرت الزعم بأن النقد يعيش على هامش الأدب ، يأكل من خبزه ، ولا يضرب بسيفه . لما في هذا الزعم من تجريد يمس حركة الحياة . فالأدب ظل الحياة الجميل ، وهو بأوفى مظاهره موقف نقدي قيمي من الحياة ذاتها . والنقد تقدير للأدب ، وحكم على صحة صلته بالحياة ، في إطار الزمان والمكان .

وإذا كان النقد تقويماً للأدب ، والتعبير الفني عن الاحساس به ، والابانة عن الأصيل والزائف منه ، تغدو دراسة التراث النقدي ، سبيلاً إلى استحضار التراث الأدبي والفكري ، ومنطلقاً صحيحاً لدراسته .

من هنا عاهدت نفسي ، أن يكون بحثي نقدياً يتناول عرض جانب من جوانب تراثنا النقدي . وأتى اختياري « مفهوم النقد في طبقات ابن سلام » . من باب الشروع في الأمر من أوله .

ذلـك أن ابن سلام كـان أمام النقـد الأول إذ حقق الريـادة في باب التأليف النقدي ، وباب وضع المنهج . فصنف الشعراء وفق منهج قيمي فني موحد ، ووضع حداً لاضطراب أقوال النقـاد الجاهليـين والاسلاميـين ممن سبقه ، وأرسى بذلك الأساس لثوابت المصطلح النقدي الذي لم يكن يعرف ثباتاً من قبـل ، في ضوء مـلاحظات نقـدية متبـاينة تبعـاً لتباين المـذاهب والأذواق ، متلونـة ، بألـوان الأدب ، وبألـوان البيئات الأدبيـة في كل من الحجاز ، والشام ، والعراق .

فكـان « طبقـات » ابن سـلام في الـربـع الأخـير من القـرن الثـاني للهجـرة ، نواة لـظهور أول مـدرسة نقـدية منهجيـة في تاريـخ النقد عنـد العرب ، وكان ابن سلام أول « شيخ » من شيوخها .

ولقد اقتضت طبيعة بحثي أن أعقـد له ستـة أبواب : بـدأت بباب استعرضت فيه الاطار العام الذي عاش فيه ابن سلام بملامحه السيـاسية ، والاجتماعية والأدبية ، وقد استغنيت عن الاستفـاضة في دراسـة العصر ، والبيئة ، بمختلف جوانبه . ذلك لأن العصر العباسي ، عموماً ، وصـدره خصوصاً ؛ قد خضع لدراسات متعددة ومستفيضة ، حتى غدا الخوض في مثلها ضرباً من التكرار الذي لا تشفع له حجة الحفاظ على التقليـد . وما التفاتي إلى عرض الملامح العامة ، إلا لأنني رغبت في ألاّ أخلي دراستي من بحث الظروف العامة التي نشأ في كنفها موضوع بحثي .

وعقـدت الباب الثاني لدراسة حياة ابن سـلام وثقافتـه ، وقسمتـه فصلين : درستـه في الفصـل الأول حياة الـرجل ، فتحققت من اسمـه ، ونسبـه ، ومولـده ، ونشأتـه ، وتقلبـات حيـاتـه ، ووفـاتـه ، ثم لفت إلى شخصيته وأخلاقه . والفصل الثاني عقدتـه لدراسـة ثقافتـه ، فأشـرت إلى مصادرها ، وذكرت شيوخه ، وتلاميـذه ؛ ثم عرضت لمؤلفـاته المفقـودة ، ونقدت المصادر التي ذكرتها ، ثم أشرت إلى المطبوع منها وهو كتابه « طبقات

الشعراء » ، وناقشت ما جاء حوله في المصادر من أقوال وآراء ؛ ولم أجد بين مؤلفاته ما هو مخطوط .

وقصرت الباب الثالث على دراسة « طبقات الشعراء » : اسمه وصحة نصه ، ووحدته ، وتاريخ تأليفه ، وروايته ؛ ثم تحقيقه ، وطباعته ؛ ثم عرضت لما جاء في تعقيب محققي الكتاب ؛ يوسف هل (١٩١٦) ، ومحمود محمد شاكر (١٩٥٢) ، وناقشت آراءهما حوله ، وختمت هذا الباب بتفصيل نهجه في تأليف الكتاب .

وعقدت الباب الرابع لدراسة المراحل التمهيدية لحركة النقد الأولى ، وفصلت الخطوات التي خطاها النقد إلى ابن سلام ، وأشرت إلى ظروف انطلاقته ، في نهاية هذه المرحلة ، من بين جيل نقادها الأوائل . وقسمت هذا الباب خمسة فصول : ـ مرحلة الاختيار ؛ ومرحلة الاختيار النوعي ؛ ومرحلة الاختيار وفق الذوق والاختصاص ؛ ثم مرحلة التصنيف الطبقي ؛ ونهج علماء هذه المرحلة في الجمع والتدوين والتأليف .

ودرست في الباب الخامس نقد ابن سلام ، فمهدت له بعرض ما جاء في مقدمة كتابه من استعراض لمفاهيمه حول الشعر والرواية ، وتحقيق النصوص ، وتاريخ نشأة الشعر وعلوم العربية ، ثم عقدت فصلاً حول مفهومه في المفاضلة بين الشعراء وتصنيفهم في طبقات ؛ في ضوء ذلك درست منهج ابن سلام الفني في النقد ، وعرضت لمقاييسه الذوقية . وفصلاً آخر في إدراكه صلة الأدب بالبيئة ، وأثر ذلك في تقسيمه الشعراء ، وفي إقامة الموازنة ، والمفاضلة بينهم ؛ وفصلاً أخيراً في تقويم نظريته .

أما الباب السادس فقد عقدته على الموازنة بين مذهب ابن سلام ، ومذهب معاصره الجاحظ في النقد الأدبي . ثم ختمت الرسالة بكلمة في قيمة الكتاب .

ولعل شهرة الـرجل ، وتـواتر ذكـره ، وذكر طبقـاته في مختلف كتب النقـد والتراجم القديمة ، منها ، والحديثة ، ما حملني على الظن ، في بداية البحث ، أن المصادر التي يمكن الافادة منها كثيرة ، ومتنوعة . غير أنني لم أفز بالكثير ، الوافي ، منها ، رغم طول تنقيبي فيها .

فكتب التـراجم القـديمـة لم تف بـالتفـاصيـل عن حيـاة الـرجـل ، ومؤلفاته ، وأثره . ولم تنفع الباحث ، عن ذلك ، كثيراً ، فهي تقدم لنا ترجمة موجزة لا تتجاوز بضعة أسطر .

والمتأخرة منها تنسج على منوال المتقدمة ؛ فما جاء فيها لا يعدو كونه تكراراً لبعض ما قاله المتقدمون مع إضافات يسيرة .

ولم يكن حظ الرجل ونهجه ، في المراجع الحديثة ، بأوفـر منـه في المصادر القديمة . فالدراسات الحديثة لم تتوفر على التفصيل ، أوالتمحيص في دراسته ، رغم ما جاء فيها عنه ، من تقريظ .

وقد أفدت من طبقات ابن سلام ذاتـه في تحديـد مفاهيمـه ونهجه ؛ كذلك أفدت من بعض المصادر ، التي قدمت قائمة بمؤلفاته ، فاذكر كتاب « الفهـرست » لابن النديم ، كـما أذكر كتـاب « تاريـخ بغداد » للخـطيب البغدادي ، و « معجم الأدباء » لياقوت .

وأفدت أيضاً من بعض المراجع الحديثة ، التي عددت بعض مقومات نظرته الطبقية ، ومنها ، كتاب « النقد المنهجي عند العرب » للدكتور محمد مندور . . .

تلك هي أهم المصادر والمراجـع التي أفدت منهـا إلى جانب مصـادر ومراجع أخرى سأذكرها في ثبت المصادر والمراجع .

وبعدُ، فإن من الوفاء عليّ أن أذكر لأستاذي الدكتور أحمد مكي ما مدني به من توجيه وإرشاد ، وما ألزم به نفسه من رعاية وتصويب وتحقيق للبحث . ذلك ما ساعدني على تذليل ما واجهني من صعاب ، وأعانني على إنجاز ما بدأت به .

فأرجو أن أكون قد وفقت إلى بلوغ بعض الغاية .

حسن شرف

الباب الأول

صورة العصر

أ ـ ملامح الحياة السياسية في العصر الوسيط

رافقت حياة ابن سلاّم العلمية ، من الدولة العباسية ، عصرها الذهبي ، إذ امتدت من ولاية الخليفة محمد المهدي بن المنصور ١٦٩ هـ / ٧٧٥ م ، إلى نهاية خلافة الواثق بالله سنة ٢٣٢ هـ /٨٤٦ م[١] . وبذلك يكون ابن سلام قد عاصر أزهى مراحل الدولة العباسية ، وأوفر عهودها استقراراً وإخصاباً[٢] .

ولعل أبرز ما امتازت به الدولة العباسية ، هو هذا التحول السياسي في طبيعة الدولة الجديدة ؛ ففي حين كانت الدولة الأموية ، دولة عربية الطابع والمضمون ، غدت الدولة العباسية إسلامية الطابع عالمية المضمون ، فهي دولة جميع الشعوب الاسلامية ، العرب فيها عنصر من العناصر المكونة

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ١٦٦ طبعة بولاق ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٣ م .

(٢) تاريخ بغداذ للخطيب البغدادي م ٥ ـ ص ٣٢٦ وما بعدها رقم ١٨٥٠ ، وم ١ ص ١٣ ، ولطائف المعارف للثعالبي ص ٧١ / ط ١٨٦٧ القاهرة نشر دي يونغ في ليدن .

لهذه الدولة[1] . فالانقلاب الديني الذي قاده العباسيون لم يكن سوى الاطار المظهري لذلك التغيير السايسي الجوهري الذي أصاب طبيعة السلطة السياسية والقوى الاجتماعية التي تحرك آلة الحكم ، فتستمد السلطة ، منها ، قوتها وشرعيتها . وعليه لم يكن مستغرباً أن تبلغ حدود الخلافة العباسية أبعاداً جاوزت حدود انتشار الاسلام[2] . كذلك خرجت الحكومة العباسية من إطار تحالفات الدعوة العباسية أثر هلاك العدو المشترك ، فتداعى الحلف العباسي ـ العلوي ، وانقلب إلى خصومة وصراع بين العباسيين والطالبيين على السلطة[3] ؛ فأظهر الطالبيون عداوتهم للعباسيين واعتبروهم مغتصبي الخلافة السياسية ، التي يعتبرونها من حق الأئمة من ذرية علي وفاطمة ، وأخذوا يثيرون الاضطراب في حياة الاسلام السياسية وقام مشايعو العباسيين وأئمتهم يردون على ادعاء أئمة الشيعة حقهم في الخلافة ، مؤكدين أن العباسيين هم أصحاب الحق في الخلافة ، فهم أعمام الرسول ﷺ وأن هذا الحق تؤيده الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ . . وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ﴾[4] ؛ ويسنده ما جاء في فريضة الميراث من تقديم العم على أبناء البنات ؛ إلى أن قال مروان بن أبي حفصة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م للخليفة المهدي ، في إحدى مدائحه ، فحوى ذلك شعراً[5] . فتمكن العباسيون من حسم الصراع مع

---

(١) التنبيه للمسعودي ج ٦ ص ١٧٨ / ٢٠٣ ، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣٠ .

(٢) تاريخ العرب لفيليب حتى الجزء الأول ص ٣٦٩ / ٣٧٩ ـ دار الكشاف الطبعة الرابعة ١٩٦٥ .

(٣) تاريخ ابن الأثير ج ٥ / ٣٣٨ ، والطبري ٣ / ٣١٢ ، والدينوري ٣٧٣ ، ومروج الذهب للمسعودي ٦ / ١٨٩ / ٢٠٣ .

(٤) سورة الأحزاب ٣٣ : ٥ .

(٥)

« يا ابن الذي ورث النبي محمدا ... دون الأقارب من ذوي الأرحام =

الشيعة ، وأخمدوا ثورتهم في الحجاز ، والبصرة ، والكوفة .. وقتلوا زعماءهم وأئمتهم كمحمد وأخيه إبراهيم ابني عبدالله حفيد الحسن بن علي[1] .

وتداعى ، أيضاً ، الحلف العباسي الفارسي ، وانقلب إلى صراع متماد ، يخمد حيناً ، ويشتد أواره أحياناً ؛ فيتفجر ثورات واضطرابات حادة يثيرها الفرس في وجه بني العباس[2] . ولئن استطاع العباسيون إخماد ثورة الشيعة بقدر من الجهد والوقت محسوب ومحدود ، فإن صراعهم مع الفرس بقيت أبوابه مشرَعة على مدى العهد العباسي ، وارتدى طابعاً عنصرياً ، وعرف أبعاداً قصوى .

ولا غرو في ذلك ، فالثورة العباسية قامت تحت شعار المساواة بين العرب والموالي في الاسلام ؛ إذ قام الاسلام على هدم العصبيات القبلية والجنسية ، فاستمالت شعارات العباسيين الفرس ، فدخلوا الحركة العباسية بقوة ، وقاتلوا لنصرة دعوتها بأمل التحرر من سيادة العنصر العربي ، في العهد الأموي ، ورأوا في الثورة العباسية ، خشبة خلاصهم من الاضطهاد الأموي . وما أن انتصرت جيوش الثورة العباسية ، بقيادة مولى فارسي ، هو أبو مسلم الخرساني[3] حتى أخذت النزعة القومية الفارسية تطغى عليهم

= الوحي بين بني البنات وبينكم قطع الخصام فلات حين خصام
فارضوا بما قسم الإله لكم به ودعوا وراثة كل أصيد حام
أنّى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام

الأغاني ج ١٨ ص ١٠٣ ط ساسي وج ٩ ص ٤٥ و٤٦ وط. بولاق ٢٨٥. هو ط. ساسي اق ١٣٢٣٠ هـ / ١٩٠٣ م .

(١) مروج الذهب للمسعودي ٦ / ١٨٩ ـ ٢٠٣ ، والطبري ٣ / ٢٤٥ / ٢٦٥ .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٥ / ٣٦٨ ـ ٣٦٩ طبع في بولاق في ١٢ مجلداً سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٤ م .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٣ ه ٧٩ طبع في ليدن ١٣٠١ هـ / ١٨٨١ م في ١٠ مجلدات .

بقوة ، فتمزق قناعها التشيعي . وغادروا أهدافهم بالتحرر من العنصر العربي الغالب ، إلى أهداف تطمع بالسيادة ، وتطلع إلى السلطة السياسية ؛ خصوصاً بعدما آنسوا من أنفسهم القوة التي غلبت جيوش الأمويين . فأخذوا يبدون مشاعر التفوق على العرب ، أصلاً ، وعلماً ، وحضارة[1]. إذ ذاك برز النفوذ الفارسي ، على كل صعيد ، في الدولة العباسية ، في الجيش والادارة ، وتسنى لإحدى الأسر الفارسية أن تحتفظ بمنصب الوزارة نحو خمسين عاماً من القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد[2] . فكان خالد بن برمك ١٤٧ هـ / ٧٦٥ م ، أول من شغل منصب الوزارة العباسية[3] . وعمل الفرس منذ ذلك الحين على نشر التقاليد والنظم الفارسية في الادارة والحكم العباسي . وقد تمادى النفوذ الفارسي إلى حد شعور الخليفة الرشيد ١٩١ هـ / ٨٠٩ م ، بأنه بات أسيراً لهذا النفوذ ، حين أدرك أن البرامكة أخذوا يتصرفون بشؤون سلطانه ، فقتل سيدهم جعفر بن يحيى البرمكي ١٨٥ هـ/ ٨٠٣ م[4]. ولكن نهاية البرامكة ١٨٧ هـ / ٨٠٥ م ، لم تمنع الفرس من الاستئثار بمنصب الوزارة ؛ فقد خلف بنو سهل ، وهم من الفرس أيضاً ، البرامكة ، في عهد الخليفة المأمون ١٩٨ هـ / ٨١٣ م ـ ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م . وذلك عندما ارتدى الصراع بين العرب والفرس مظهراً حاداً في الفتنة التي قامت بين الأخوين الأمين ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م ـ ١٩٨ هـ / ٨١٣ م ،والمأمون؛ فغدا صراعاً بين

---

(١) ديوان بشار بن برد ١ /٣٧٧ و٣ /٢٢٩ ؛ والأغاني ٣ /١٣٨ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ / ٨٤٠ وابن خلكان ج ١ ص ٢٩٠ ط.م. عبدالحميد ق. ـ ١٣١٠ هـ / ١٨٩٠ م .

(٣) تاريخ الطبري : ٣ / ٤٧٩ ط.ق. : ط. أحمد أمين ٩٤٠ ـ ٩٤٧ م / ١٣٦٠ هـ ـ ١٣٦٧ هـ .

(٤) تاريخ الطبري : ٣ / ٦٨٠ ط.ق. : ط. أحمد أمين ٩٤٠ ـ ٩٤٧ م / ١٣٦٠ هـ ـ ١٣٦٧ هـ .

نـزعتين : العـربية والفـارسية ؛ تمثلت الأولى بـوزير الأمـين ، الفضل بن الربيع وهو عربي[1] وتمثلت الثانية بوزير المأمون ، الفضل بن سهل ، وهو فارسي . وكان الظفر بنتيجة هذا الصراع للفرس ، الـذين فازوا بـالقضاء على الأمين ، وتولية المأمون الخلافة عام ١٩٨ هـ / ٨١٣ م . وهكذا غلب الفرس على الدولة ، فكانوا أصحاب النفوذ في البلاط العباسي وانـطبعت الخلافة الاسلامية بطابعهم فسادت أنظمة الفرس بما فيها من رتب ومراكـز وألقاب . واحتفظ العرب بمركز الخلافة الاسـلامية ، كـما احتفظوا بسيـادة اللغـة العربيـة ، فهي لغة القـرآن الكريم ، وإليـه يعود الفضـل في سيادة العربية وآدابها واستمرارها[2] . ، واستمر النفوذ السياسي الفـارسي بارزاً حتى خـلافة المعتصم بـالله ١٥، هـ / ٨٣٣ م - ٢٢٤ هـ / ٨٤٢ م الذي استبدله بالنفوذ التركي .

لقد شهد هذا العصر اشكالاً من الصراع السياسي والفكري : بين العرب والموالي ، بين العباسيين والطالبيين ، وبين العـرب والأتراك ، وبـين العرب والروم[3]. إلا أن صراعهم مع الفرس كان له أثره البالغ في الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية .

ب ـ الحياة الاجتماعية :

كان للانقلاب الذي أصاب الحياة السياسية في عصر بني العباس أثره في تطور الحياة الاجتماعية وتبدلها . فانتقال العاصمة السياسية للمسلمين

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٦ ص ٩ ـ ٢٠ والطبري ج ٣ ص ٥٢٣ .

(٢) تـاريـخ العـرب لفيليب حتى الجـزء الأول ٣٦٦ ط. دار الكشـاف ب. ط. : ٤ ـ ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

(٣) مـروج الذهب للمسعـودي ٢ / ٢٥٥ ط. القاهـرة في جزئين ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٧م ، وكتـاب البلدان لليعقوبي ج ٢ / ٢٣٨ و٤٤٦ و٤٤٧ ط. ليدن

إلى بغداد ـ مركز الخلافة العباسية ـ شكّل نقلة جديدة في تطور المجتمع الاسلامي ، جعلته في موقع التماس مع الشعوب المتحضرة ، فانغمس في أساليب الحياة الأجنبية عنه بكل مظاهرها المادية والمعنوية . فالمؤثرات الأجنبية عموماً ـ والفارسية خصوصاً ـ فعلت فعلها في الحياة العباسية ، فلّينت خشونة البداوة ، وثقفتها ، ومهّدت السبل أمام أنماط من الحياة الحضرية جديدة ومتنوعة(١) .

ولم يكن الاتصال المباشر بالشعوب المتحضرة ، والاقتباس عنها وسائلها وأدواتها ، ومعارفها ، وأذواقها ، هو العامل الوحيد الذي أثّر في الحياة العباسية ، فدفعها في ميادين التطور والتمدن والعمران ؛ بل لعل عامل الاستقرار السياسي والاداري الذي وطّد الأمن وأشاع الأمان ، في ظل دولة قوية قادرة ، وإدارة حازمة ، هو الذي هيّأ الظروف الموضوعية للازدهار الاقتصادي والتطور الاجتماعي ؛ فأتاح المجال رحباً أمام خطوات واسعة وثابتة على طريق التمدن والرقي .

وهكذا أصبحت بغداد ولم يمض على قيامها بعد ، نصف قرن من الزمن ، حاضرة العالم الأولى ، تضاهي بيزنطة ، في عهد الخليفة الرشيد ١٦٨ هـ / ٧٨٦ م ـ ١٩١ هـ / ٨٠٩ م ، ازدهاراً وتمدناً وعمراناً(٢) ؛ فأخذت تحتضن المدنيات المهاجرة إليها ، توائم بينها ، وتولّدها ، وترعاها ؛ فتخرج للعالم حضارة جديدة يانعة .

= ١٢٨١ هـ / ١٨٦١ م وط.ق ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٧ م ؛ وتاريخ العرب لفيليب حتي ج ١ / ص ٣٧١ .

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١ / ٦٩ ـ ٧٠ / ط.ق ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٦ م .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١ / ١١٩ ، ومروج الذهب للمسعودي ٨ / ٢٩٨ .

كما كان لحاضرتي البصرة والكوفة ، أقدم المدن العراقيـة ، وأوفرهـا اتصـالاً بالحضـارات القديمـة ، أثرهـا الكبير في تـطور الحياة الاجتمـاعيـة والاقتصادية والفكرية في العصر العباسي[1] .

ويضاف الازدهار الاقتصادي ، الذي عرفته الحياة آنذاك ، إلى جملة العـوامـل الآنفـة ، التي مكنت في النفـوس ، ذلـك الميـل إلى البـذخ ، والإسراف في اللهو والترف، وهيأت ظروفاً مؤاتية للاقبال بشغف على وجوه الحياة المادية والمعنوية .

ومثّل البلاط العباسي أرقى مظاهـر الأبهة والمجـد ، في حياة العـامة والخاصة . ليس فقط في عصر بني العباس ، بل انسحب ذلك على عصور عدة بعده ، محاطاً بإطار أسطوري تجسَّم في مخيلة الأجيال اللاحقة ؛ بما فيه من دور للحـريم ، ولأهل الخـاصة ، يبلغ ثلث « المـدينة المـدورة » ، وبما ضـمـه من مجـالس مفـروشـة ، ومجهـزة بكـل مـظاهـر التـرف والـرونق والروعة[2] . ولا غرو أن تذهب « زبيدة » ، زوج الخليفة ، مثالاً يحتذى ، بين نسـاء عصرها المترفات ، تضع لهن الطراز في الزي ، والذوق ، واقتناء كـل ظريف ثمـين من الجواهـر والمـلابس . . والأثـاث . فـالنسـاء يقلدن « زبيدة » و « علية » ابنة المهدي ؛ والـرجال يقلدون الخليفـة وبطانتـه من الوزراء ، والأمراء والقادة ، ما ملكت أيديهم من ذلك . فالبلاط معـرض للبذخ ، واللهو والترف في كل مناسبة تسنح ، والخليفة ينفق الأموال الطائلة والأرزاق الواسعة يـوم تنصيبه ، ويـوم زواجه ، ويـوم احتفائـه بالـزائرين

---

(١) معجم البلدان لياقوت ج / ٤ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ط. ق ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٧ م (١٠ أجزاء) وط. ليبسيك ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٦ م ، ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٣ م (ستة أجزاء) .

(٢) الأغاني ج ٩ / ٨٠ / ٨٣ .

والسمّار[1] . وهو أيضاً موئل للشعراء ، ومنتدى للعلماء ، ومسرح للمغنين والموسيقيين ، والقيان . . وهو ديوان للثقافات ، ومتحف لألوان الحياة الضحوكة[2] . وعليه لم يعد مستغرباً أن تكثر دور اللهو ، ومجالس البذخ ، والترف والمجون ، يختلف إليها من تيسرت لهم سبلها من الشعراء والمغنين والتجار ، وأهل اليسر . وكما ازدهرت التجارة ازدهاراً كبيراً ، فامتاز التجار بمكانة مرموقة في المجتمع العباسي ؛ كذلك ازدهرت الصناعات والحرف فتعززت مكانة أهل الحرف ، والصناعات ، والأطباء والمعلمين والكتاب والعلماء ؛ فحض الخلفاء عموماً ، والمأمون خصوصاً ، وكذلك الوزراء والأمراء والقادة ، جماعة العلماء والأدباء بمكانة رفيعة ، وشملوهم برعايتهم الخاصة ، وعطاياهم الوفيرة[3] .

وخلاصة القول : إن الحياة قد تغيرت ، بمختلف وجوهها ، في هذا العصر ، على صعيد الادارة ،والعائلة ، والعمران ، والثقافة ، والأواصر الاجتماعية ، كما تغيرت الحياة السياسية ؛ فأطلقت الحياة الجديدة العواطف والميول والمذاهب ، وحررت العقول ، وثقفت الأذواق ؛ فأطلقت الألسن ، ورققت المشاعر ؛ ودققت الأفكار ؛ ويسرت سبل العيش ؛ فانطلق سلطان التجديد في ميادين الفكر والأدب والاجتماع .

ج ـ الحياة الفكرية والأدبية

يبدو أن الحكم على العصر العباسي بأنه عصر الاسراف واللذة ، عصر اللهو والمجون، حكم لا يسلم من الخطأ ، إذ تعوزه الدقة العلمية .

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ١٦٦ .
(٢) الأغاني ج ٩ / ٧١ وتاريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ١٠٧ .
(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ رقم ٢٩٨ / ط. ق ١٣١٠ هـ / ١٨٩٠ م (ستة مجلدات) وتاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج ٢ / ١١٩ ـ ١٤١ ط. ق ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .

فقد كان عصر العلم والمعرفة وبداية التصوف ، عصر نضج التشريع الاسلامي ، وتأسيس مذاهبه ؛ كما كان عصر ازدهار النشاطات الفكرية ، والأدبية ، التي شملت ألوان الحياة العقلية جميعاً . ولعل أبرز ما يلفت انتباه الدارسين ، أن الدراسات التي كانت موضع اهتمام ، أهل هذا الزمان ، وتوزعت المجتمع نفسه ، كانت تندرج في مجالين :

١ ـ **المجال الأول** : وقد حرص أصحابه على أن يؤدوا واجبهم نحو الثقافة ؛ فقام فيه النحاة ، واللغويون ، والمفسرون ، والمحدثون ، ثم الفقهاء ، والمشرعون . المنهج الذي كان يتبعه هؤلاء جميعاً ، هو المنهج النقلي القائم على الرواية . ولارتباط النصوص ، التي يقوم عليها هذا النوع من الدراسات بمقررات دينية ، لم يكن من المتيسر تحمل عهدتها في شيء من الترخص أو التسمح ؛ فالرواية كافية بسندها أن تخفف من تحمل هذه العهدة ؛ فنشأت فكرة النقد ـ نقد الرواية ـ ولم يكن النقد في أول أمره قائماً على بيان ما في العمل المروي ، من وجوه التفنن والابداع ، وإنما اتجه ـ في البداية ـ إلى تحرير الرواية نفسها وتحقيق المرويات .

٢ ـ **المجال الثاني** : وقد سلك أصحابه طريق المنهج العقلي ، وهو المنهج الذي أصّله المعتزلة ، ودافعوا عنه ، والتزموه فيما انتهوا إليه من مقررات اعتقادية ، دعوا الناس إليها . غير أن أصحاب هذا المنهج العقلي أولوا الرواية ، والحديث عنايتهم ؛ فكان لهم منهجهم في تحقيق الرواية ، ونقد الأخبار ، وتأويل النصوص ، والاستنباط منها ، والجمع بين ما يكون بينها من اختلاف في الفكرة الواحدة المعبرة عنها . لقد أدى هذا المنهج إلى التوسع في الدراسة ، ومنها دراسة اللغة التي اعتبرت ، من قبل أصحاب هذا المذهب ، ظاهرة اجتماعية ، تخضع في تطورها لتطور حياة المجتمع نفسه .

وهكذا أخذت تتكون صورة الفكر في هذا العصر الذي اتفقت فيه

مناهج ، وتدابرت فيه نظريات للمعرفة وتوزع الرأي بينها ؛ فكانت مثار جدل واسع بين مؤيد ومعارض ، ومجدد ومحافظ .

أ ـ علوم العربية : شهدت اللغة العربية ، في هذا العصر ، نقلة جديدة ، بعد النقلة الأولى التي أصابتها بنزول القرآن الكريم بها ، فأكسبها ذلك مرونة واسعة ، وقدرة على التعبير الدقيق ، في نواحي التشريع ، والتحديد ، والتفصيل ، فلم تعد محدودة في إطار من الايجاز ، الذي كان يأخذ به العربي نفسه من قبل . وإنما اتسعت آفاقها ، وتعددت مسالكها ، فاكتسبت بهذه النقلة الأخيرة أمرين :

أولهما : توسع المدلول اللغوي ، أو تحديده حسبما يقتضيه الموقف ؛ **وثانيهما** : أنها امتلكت صيغاً جديدة ، وضعها العرب ، لمواجهة هذا التوسع في الدراسة الفلسفية ، والمنطقية ، والعلمية ، والأدبية . . . فهذا التوسع من شأنه أن يبسط اللغة في التعبير ؛ فاتساع المعاني ، وتنوع الموضوعات ، يفضي إلى تطور أشكال التعبير .

لقد كثر الحديث عن تأثر علم العربية بقواعد اللغات الأجنبية ، كاللاتينية(١) والهندية(٢) والفارسية(٣) ، إلا أن ما اتفق عليه علماء العربية(٤) ، يؤكد أن علم النحو انبثق من العقلية العربية ، وإذا كان الأثر الأجنبي ، في علم العربية ، قد برز منذ سيبويه ، ١٧٧ هـ/٧٩٣ أو ١٨٠ هـ/٧٩٦ م الفارسي الأصل ، فإن استاذه ، وهو الخليل بن أحمد ،

---

(١) « الصاحبي » لابن فارس ح ١ ص ٤٠ . ن . بإشراف ر . بلاشيروج . ع . ط . بدران ١٣٨٣ هـ/١٩٦٤ م .

(٢) الزمخشري في « المفصل » رقم ٦٨٢ .

(٣) نزهة الألباء لابن الأنباري /٤٤/ ، والأغاني ١/١١٤ .

(٤) « الصاحبي » لابن فارس ص . ٤ ـ ٤٦ .

١٧٥ هـ/٧٩١ م ـ أو ١٧٠ هـ/٧٨٦ م ـ كان عربياً[١]. وقد يكون ما ساعد على تطور علم اللغة العربية ، هو وقوع تضاد بينها وبين اللغات الأجنبية للموالي ، أو بينها وبين اللهجات ، المختلفة ، الأخرى ، التي كانت سائدة ، في ذلك الزمان[٢] بين القبائل العربية ذات الأصول والأنساب المتعددة . ولعل الذي مكّن لدراسة اللغة حاجة الموالي من الأعاجم إلى تعلم العربية ـ سيما وأنها لغة القرآن الكريم ـ ولغة البحث الاسلامي ، ولغة الدولة العباسية . ونشأت في هذا السبيل ، مذاهب في علوم االعربية . ووزع علماء العربية مذاهب النحو والنحاة في ثلاث مدارس أساسية[٣] : مذهب مدرسة البصريين ، ومذهب مدرسة الكوفيين ، ومذهب من جمع بين المذهبين ، في مدرسة بغداد . وكان لكل مدرسة اهتماماتها : فاتجه الكوفيون إلى جمع النصوص ، واللهجات ، واللغات . . في حين توفرت مدرسة البصريين على دراسة قواعد النحو .

ولعل أول من أسس لعلوم العربية ، هم شيوخ الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، عيسى بن عمر الثقفي ١٤٩ هـ/٧٦٦ م ، وهو من مشاهير القراء[٤] ، وأبو عمر بن العلاء المازني : ١٤٥ هـ/٧٧٠ م[٥] ، ويونس بن حبيب ، وأبو عبد الرحمن الضبي ،١٨٢ هـ/٧٩٨ م . وهكذا ازدهرت

---

(١) تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان ص /١٢٣ و ١٢٤ / الجزء الثاني .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٩ وما بعدها ـ تحقيق فلوجل ١٨٧١ .

(٣) الزبيدي رقم ١٢ طبقات النحويين البصريين ، ونزهة الألباء لابن الأنباري ٢٥ .

(٤) الزبيدي رقم ١١٧ طبقات النحويين البصريين ، ونزهة الألباء لابن الأنبازي ص ٣١ والفهرست لابن النديم ص ٢٨ ، والبيان والتبيين للجاحظ ١/١٢٣ .

(٥) طبقات الزبيدي رقم ١٧ ، ونزهة الألباء لابن الأنباري ٥٩ ـ ٦٤ وابن خلكان في وفيات الأعيان رقم ٨٢٣ .

علوم العربية ، في هـذا العصر ونمت نمـواً كبيراً . وإذا كـانت هذه العلوم عربية في نشأتها ، فقـد دخل ميـدانها علماء من أصل فـارسي ، فيما بعد. وسرعان ما أصبحوا أساتذة للعرب وغيرهم في علم النحو وغيره من علوم العربية[1] .

استمرت العربية سائدة في الآداب والعلوم زمن العباسيين ؛ فتعلمها الفرس وثقفوها ، وكتبوا بها ، ونقلوا آدابهم وتراثهم إليهـا . وكان أثـرهم الفكري والأدبي بارزاً في آدابها وعلومها .

ب ـ الشعر : غدت الحياة العباسية ، بعيدة عن حياة البادية ، حياة مدنية تكونت في الحواضر الكبرى ـ بغداد والبصرة والكوفة ـ ومن أخـلاط متنوعة ، من العرب والأعاجم . وشروط الحياة الجديدة غير شروط الحيـاة القبيلة. تغيرت العلاقات ،وطرائق الحياة ؛ فنمت أذواق جديدة ، وأنشطة فكرية ، لم تعرفها الحياة السابقة؛ فتطور الأدب عموماً ، من حيث التعبير والمضمون ، والشعر بـوجه خـاص ، وأصبح أكـثر ملاءمـة لروح العصـر الجديدة .

والموضوعات التي تهيأت لهـا عناصـر الاستمرار ، في هـذا العصر ، كالغزل والطرديات وشعر الخمرة ، أعيدت صياغتهـا بأسـاليب جديـدة ، وتعابير أكثر مرونة وأوفر دلالة . فعرفت القصيدة إسرافاً في المعاني . كذلك نشأت بعض الأغراض الجديدة ، كالزهد ، والغلاميات ، والطبيعة . . .

وكان جيل العلماء بالمرصـاد لهذا الاسـراف في التجديـد ، ومجانيـة الأصول التقليدية القديمة ، في صياغـة القصيدة ، وقـالبها ؛ فـأقام العلماء

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ٢ ج ٢/٢٤٠ ـ ٢٤٤ ط . وحققه محمـد أبو الفضـل إبراهيم ومحمـد أحمـد جـاد المـولى ، وعلي محمـد البجاوي ، ط . الحلبي ، ق . بدون تاريخ .

« مدرسة » الدفاع عن الشعر الجاهلي ، الذي اعتبروه مقياساً للجودة ، لا يبلغ مداه شاعر محدث مهما علا شأنه . وفي ضوء تنظير طبقة العلماء ـ علماء اللغة ـ أخذ يتشكل المثل الكلاسيكي ، في الشعر العربي . وقد يكون ذلك ما دفع العلماء إلى الإقبال على تناول الشعر الجاهلي ، وكل شعر توفرت فيه مواصفات الشعر الجاهلي ، دون غيره . هذا، وقد ألح شيوخ هذه المدرسة على الشعراء أن يلتزموا حدود مذاهب الشعراء التقليديين أمثال أمرىء القيس ، والنابغة ، وزهير ، وطرفة . . .

غير أن الشعراء المولدين ـ وبعضهم من أصل غير عربي ـ لم يتقيدوا بهذه القواعد التي وضعها لهم العلماء، وانصرفوا إلى التجديد، تلبية لدواعي المعاصرة ، ودواعي قرائحهم . ولم يحظ الشعر المعاصر برضى النقاد إلا في القرن الرابع للهجرة ـ العاشر للميلاد ، حين أخذ النقد يتسيغ قوالب الشعر الحديثة .

وظل المأمون لا يستحسن من الشعر إلا شعر الأوائل ؛ فيقول : « انقضى الشعر مع ملك بني أمية » ،[1] ، إلى أن أنشده عبد الله بن أيوب التيمي شعراً ؛ فاستحسنه ، واعترف بأن للمحدثين فروع الإحسان .

ولم يشكل علماء اللغة عائقاً[2]، على طريق تطوير الشعر العربي ، بالقدر الذي يمنع هذا الشعر من التطور. ومما أعاق تطور الشعر في ذلك الزمن ، أن الشعراء لم يطلعوا ، بعد ، على الآداب الأجنبية ؛ إذ أن الأدب العربي لم يكن قد تعرف بآداب الأمم الأخرى ، بصورة تكفي لنقل تأثير هذه الآداب إلى الأدب العربي. ولم يكن الفرس قد بدأوا الخوض في

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٩/٤١٢ الطبعة الأولى ـ بولاق .

(٢) الموشح للمرزباني ٣٤٦ : وهو يذكر حادثة تروي موقف ابن الأعرابي من الشعراء المولدين .

الشعر إلا أقلهم ، بيد أن بعض شعرائهم ، أخذ يخلط شعره بشيء من لغة الفرس ؛ وذلك في نهاية العصر الأموي[1] . ولم تجر نبعة الشعر الجديد بحرية وقوة إلا بعد ثلاثة أجيال تقريباً . وذلك في زمن ابن المعتز ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م ، الذي أخذ يسوي بين الشعراء القدامى والمحدثين في « البديع »[2] . ولم يخل هذا العصر من محاولات بعض الشعراء صياغة القصيدة في أوزان تختلف عن الأوزان التقليدية المعروفة ؛ كرزين بن زندورد[3] . وهو الذي نظم شعراً مخالفاً للعروض المتوازن ، فعرف بذلك ـ رزين العروضي[4] . علماً أن أحداً لم يتبعه ـ آنذاك ـ في هذا الأسلوب من النظم[5] .

بيد أن أذواق الخلفاء ، والوزراء ، والأمراء ، ما زالت تحدد إطار الشعر العام ، وموضوعه ويكون لها الرأي الأخير في تقويمه ؛ فالشاعر يسعى في البلاط ليفوز برضى السلطان ويظفر بعطاياه ونعمه ؛ فالمعيار الأساسي لفن الشاعر بيد البلاط : حتى أن وزير الخليفة الرشيد ، يحيى البرمكي[6] ١٨٧ هـ/٨٠٥ م ، جعل للشعر ديواناً ، أقام عليه ، أبان بن عبد الحميد اللاحقي ٢٠٠ هـ/٨١٥ م ، رئيساً ، يقوّم مدائح الشعراء . وما هجاء أبي نواس لأبان اللاحقي إلا لأنه أجازه بعض شعره ، دون ما يستحق ، بنظر

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ١٦ ط . مصر ١٣١٣ هـ/١٨٩٤ م .
(٢) ديوان ابن المعتز ص ١٤ (المقدمة) .
(٣) تاريخ بغداد للخطيب ج ٨/٤٣٦ : وهو طيفور بن منصور الحميري خال المهدي .
(٤) تاريخ بغداد ٨/٤٣٦ وما بعدها .
(٥) الإرشاد لياقوت ج ٤/١٦ و ١٧ ، ورسائل البلغاء ، ص ٧٥ .
(٦) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٢٥٩ ، ط.ق. ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٨ م.

الشاعر[1] ؛ سيما وأن الشعراء كانوا يطمحون إلى نيل الإقرار بمواهبهم الفنية في بلاط الخلفاء ، ودواوين الوزراء . ولعل ما أسعف شعر شعراء هذا العهد على الذيوع في الناس ، هو غناء المغنين لهذا الشعر ، وما كان لتلك المغنيات والجواري من حظوة لدى أهل الحل والربط، وخصوصاً لأنهن كن على جانب وافر من الثقافة والعلم بالشعر[2] .

ج ـ **الترجمة والنقل** : أقبل الموالي على الإسلام ، وكانوا من أجناس متعددة ، وأصحاب ثقافات ، ومذاهب متنوعة ؛ منهم النصراني ، واليهودي ، والدهري ، والمجوسي . فشرعوا ينشرون بين العرب ثقافاتهم ، ونزعاتهم ، ومعارفهم ، ينقلونها من لغاتهم الأصلية إلى اللغة العربية . ولعل أبرز هذه الثقافات التي اتصل بها العرب هي الفارسية ، واليونانية ، والهندية .

وبحكم حاجة العباسيين إلى العلوم التطبيقية ، وبحكم مقتضيات دفاعهم عن الدين الإسلامي ، أقبل العباسيون على تنظيم الترجمة والنقل للاطلاع على هذه الثقافات والعلوم ، والإفادة منها في الطب والفلسفة والمنطق وعلم الفلك . . ولما كان العرب لا يعرفون اليونانية ، اعتمدوا على مترجمين من السريان : فكانوا ينقلون العلوم اليونانية إلى لغتهم السريانية ، ومن ثم يترجمونها إلى العربية . فالثقافة الهلينية وصلت إلى العرب عن طريق اللغة السريانية[3] .

وعرفت الترجمة أوسع انتشارها في زمن المأمون ـ الخليفة العالم ـ خصوصاً في مجال الفلسفة والمنطق . وقد عرف عن المأمون نزعته

---

(١) ديوان أبي نواس ـ نشر آصاف ـ ص ١٨١ ط. مصر ١٣١٩ هـ/١٨٩٨ م .
(٢) رسائل الجاحظ ـ نشر فنكل ـ ١٩٢٦ ص ١٧٣ .
(٣) البلدان لليعقوبي ط . ليدن ١٨٨٥ م ج ٢ /٤٨٠ ـ ٤٨٦ م . ابن خلدون : ٤٠٠ ـ ٤٠١ ط . ل . شيخو ، بيروت ٣٦ . ١ هـ/١٨٨٦ م .

العقلية ، وميله إلى المعتزلة ؛ فدعا إلى ترجمة فلسفة الاغريق تأييداً لآرائه[1] . ثم أنشأ المأمون بيت الحكمة في بغداد حوالي سنة ٢١٢ هـ/ ٨٣٠ م ، وجعل فيه مركزاً للترجمة ، ونظّمها .

ولعل أبا يحيى بن البطريق المتوفي حوالي سنة ١٨٨ هـ/٨٠٦ م ، كان على رأس المترجمين من اليونانية إلى العربية[2] . ومنهم يوحنا بن ماسويه[3] المتوفي حوالي سنة ٢٣٩ هـ/٨٥٧ م ؛ وهو سرياني قلّده الرشيد أمر نقل الكتب القديمة في الطب .

ويبدو أن الترجمة في عهدها الأول ، لم تكن واضحة ، مما دفع إلى إعادة النظر فيها في عهدي الرشيد والمأمون .

ومن بين المترجمين الذين ظفروا بشهرة واسعة حنين بن إسحاق المتوفي حوالي سنة ١٩١ هـ/٨٠٩ م ، وهو من الأطباء الكبار[4] وكذلك ثابت بن قرة ٢١٨ هـ/٨٣٦ م ، وهو من صابئة حرّان ؛ وقد اختص بترجمة العلوم الرياضية والفلك[5] . وما أن ترجمت مؤلفات أرسطو في البيان وعلم الشعر ، والمنطق ، حتى أخذت موقعها إلى جانب الدراسات في الصرف والنحو في العربية ، كأحد الموضوعات الفكرية والأدبية الأساسية . وأخذت هذه المعارف والعلوم في الفلسفة والمنطق طريقها ، فيما بعد ، إلى التأثير في تعاليم الصوفية . وكان لها أثرها العميق في الحياة الفكرية .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٤٣ : « أن أرسطو ظهر للمأمون في حلم فأكد له أنه ليس ثمة فرق بين العقل والشرع » .

(٢) الفهرست ص ٢٧٣ ومروج الذهب للمسعودي ج ٨ ص ٢٩١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥ وما بعدها ط . مولر ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٤ م . وط . في مصر : ٣٠٢ هـ/١٨٨٢ م .

(٤) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٨٧ .

(٥) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٨٨ .

د ـ العلوم والتاريخ والعمران : كذلك ازدهر ، في هذا العصر ، علم التاريخ ، وفنون التأليف فيه ، وأسهم الفرس ، بنصيب وافر منه ، ودعموا نهضته بما امتازوا به من قدرة على التحليل ـ تحليل الظاهرات التاريخية وتفسيرها ـ إذا عرفوا هذا العلم ، وخاضوا فيه زمن الدولة الساسانية ـ الدولة الفارسية الوسطى .

كما ازدهرت علوم الدين الإسلامي ونشط التأليف والبحث في علم الكلام وعلم الفقيه ، ولم تكن هذه العلوم وقفاً على العرب وحدهم . وسرعان ما أخذ الفرس عن العرب هذا العلم وتوسعوا فيه إلى أن شهد علم الكلام ، والفقه ، أئمة ، فيه ، من بينهم .

كذلك نشأت العلوم الطبيعية ، والهندسة ، والفلك ، والطب . وأسهم السريان الأراميون بنقل وترجمة هذه العلوم لدى العرب . وشكلوا النافذة التي أطل منها العرب على المعارف عند سواهم من الأمم كالروم ، واليونان (. . .) .

كذلك شهد فن العمارة والبناء تطوراً واسعاً وعميقاً بفعل المدنيات الزاخرة التي اتصل بها العرب في هذا العصر ، وبفعل الثقافة الواسعة التي حصّلوها ، والعلوم والفنون التي اضطلعوا بها على مدى قرنين من الزمان[1] .

---

(١) تاريخ ابن الأثير ج ٦/٢٦ ـ ٢٨ ؛ والمسعودي ج ٢/٣٢٨ ؛ والكامل للمبرد ج ١/٢٨٧ .

الباب الثاني

حياة ابن سلام وثقافته

أ ـ ابن سلّام في كتب التراجم

لا تكاد كتب التراجم تغني ، الباحث ، في دراسة حياة محمد بن سلّام . وهو أحد الإخباريين والرواة في عصره . وتعد مؤلفاته من بين أقدم المصادر لدراسة التراجم ، والأخبار التي تتصل بالشعر والشعراء والنقد والتصنيف وعلوم العربية . وهو الذي جعل « **طبقاته** » سجلاً لشيوخ عصره . وهو أستاذ الحديث وفقه اللغة في مدرسة البصرة[1] . وقد روى عن الجم الغفير من أعلام عصره في البصرة وفي بغداد . وروى عنه الجم الغفير منهم[2] . ومع ذلك لم يتوفر أحد منهم على ترجمة مفصلة لحياته ؛

(١) تاريخ بغداد ج ٥/٣٢٧ ـ ٣٣٠ رقم ٢٨٥١ ط . ق ١٣٤٩ هـ/١٩٣٦ م . والموسوعة الفرنسية المجلد ٣ ص ٩٥٢ .

(٢) أبو الفرج ج ١٠/٣ و ١٨/١٢٥ المتوفي حوالي سنة ٣٥٦ هـ/٩٦٧ م . كتب طبقات النحويين واللغويين ومنها أخبار النحويين لمحمد بن عبد الملك بن السراج التاريخي وهو تلميذ محمد بن سلام ، وطبقات النحويين البصريين وأخبارهم للمبرد ٢٨٥ هـ/٨٩٨ م ، ومراتب اللغويين لأبي الطيب عبد الواحد بن علي ٣٥١ هـ/٩٦٣ م ، وطبقات النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي ٣٦٨ هـ/٩٧٨ م ، وطبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ٣٧٩ هـ/٩٨٩ م ، والمقتبس لمحمد بن

ذلك أن ابن النديم الذي بدأ بتصنيف كتاب الفهرست سنة ٣٧٧ هـ/٩٨٧ م ، لم يزد على أن قال في ترجمة ابن سلاّم : « أبو عبد الله محمد بن سلاّم الجمحي أحد الإخباريين والرواة . . . » . وأن الخطيب البغدادي ٤٦٣ هـ/١٠٦٣ م ، قال : « محمد بن سلاّم بن عبيد الله بن سالم ، أبو عبد الله البصري مولى قدامة بن مظعون الجمحي ، وهو أخو عبد الرحمن بن سلاّم ، كان من أهل الأدب ، وصنّف كتاباً في طبقات الشعراء ، وحدّث عن حمّاد بن سلمة ، ومبارك بن فضالة ، وزائدة بن أبي الرقّاد ، وأبي عوانة ، وقدم بغداد فأقام بها إلى حين وفاته ، روى عنه أبو بكر بن أبي خيثمة ، وعبد الله بن أحمد حنبل ، وأبو العباس ثعلب ، وأبو بكر المطوعي ، وأبو العباس أحمد بن علي الأبّار وغيرهم »[1] .

أما أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي الأندلسي ٣٧٩ هـ/٩٨٩ م ، صاحب « طبقات النحويين واللغويين » ؛ فقد عدّ محمد بن سلام في الطبقة الخامسة من النحويين واللغويين البصريين . ولم يزد على أن قال في ترجمته : « هو محمد بن سلاّم بن عبيد الله بن سالم الجمحي ، مولى محمد بن زياد مولى قدامة بن مظعون الجمحي توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين بالبصرة ، وكان دون الأربعة : إبراهيم بن سفيان بن بكر الزيادي ، (. .) أبو محمد عبد الله بن محمد القوزي (. .) العباس بن الفرج الرياشي ؛ (. .) أبو

= عمران المرزباني ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لعبد الرحمن بن محمد الأنباري ٥٧٧ هـ/١١١٨ م ، وأنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م ، والارشاد لياقوت الرومي ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م ، وطبقات النحاة لأحمد بن قاضي شهبة ٨٥١ هـ/١٤٤٨ م ، وبغية الوعاة للسيوطي ٩١١ هـ/١٥٠٥ م ، وتاريخ بغداد للبغدادي ٤٦٣ هـ/١٠٦٣ م (. . .) .

(١) تاريخ بغداد للخطيب مجلد ٥ ص ٣٢٧ .

حاتم بن سهل بن محمد السجستاني[1] .

وأما صاحب نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ٥٧٧ هـ/١١١٨ م ؛ فقد أوجز ما ذكره الخطيب البغدادي في « تاريخه » عن ابن سلّام ، قال : « وأما أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم البصري ، فكان من جملة أهل الأدب وألّف كتاباً في طبقات الشعراء ، وأخذ عن حمّاد بن سلمة ، وروى عنه الإمام ابن حنبل وأبو العباس ثعلب . . توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكان ذلك في السنة التي مات فيها الواثق وبويع للمتوكل بن المعتصم[2] .

كما أورد القفطي ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ، في أنباه الرواة على أنباه النحاة ، ما ذكره الخطيب البغدادي ،حرفياً، عن ابن سلام ، وكذلك ما ذكره ابن النديم والزبيدي[3] .

وأما ما جاء عن ابن سلام في بقية كتب التأريخ والتراجم القديمة منها ، والحديثة[4] فلا يضيف إلى ما ذكرته الكتب والمصنفات الآنفة ،

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ١٨٠ رقم ٩٦ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف في مصر، ط. / ١٩٦٣ / .

(٢) نزهة الالباء في طبقات الأدباء للأنباري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر للطباعة والنشر ص ١٥٧ و١٥٨ .

(٣) أنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ج ٣ رقم ٦٥٢ ص ١٤٣ - ١٤٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار الكتب المصرية .

(٤) كذلك نجد ترجمته في المؤلفات التي نقلت عن « تاريخ بغداد » : كبغية الوعاة « للسيوطي ، ص ٤٧ » ، وفي « الأنساب » ١٣٤ ب ، وفي « تلخيص » ابن مكتوم ص ٢١٢ ، وفي «طبقات المفسرين» الورقة ٢٤٩ ، وفي « كشف الظنون » ج ٢ / ١١ ، وفي اللباب ج١ / ٢٣٦ ، وفي « لسان الميزان » ج ٥ / ١٨٢ - ١٨٣ ؛ و « مراتب النحويين » ١٠٨ ؛

جديداً ، إلى ترجمة ابن سلام . وقد تكون غالبية هذه التراجم صادرة عما جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، أو إيجازاً لما قدمه من ترجمة لابن

= ومعجم الأدباء ج ٨ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، وميزان الاعتدال ج ٢ / ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ؛ وفي « النجوم الزاهرة » ج ٢ / ٢٦٠ ؛ وفي « تهذيب اللغة » ج ٦ / ١٩٢ .

ومن المراجع الحديثة التي ذكرته :

ـ فهرس البستاني رقم ٧٧ / ١٩٣٣ .

ـ دائرة المعارف الاسلامية م ١٥ / ٧٦ ـ ٧٨ .

ـ الموسوعة الفرنسية م ٣ / ٩٥٣ .

ـ تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ج ٢ / ١٥١ و١٥٢ .

ـ تاريخ الأدب العربي ر. بلاشير ج ١ / ١٧٢ .

ـ في الأدب الجاهلي . طه حسين ص ١٣٠ ـ ١٣٢ دار المعارف بمصر ١٩٢٧ .

ـ النقد المنهجي عند العرب : د. محمد مندور ص ١٦ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ١٩٤٨ .

ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري لطه أحمد إبراهيم م. التأليف والترجمة والنشر ص ٧٥ ـ ٧٦ / ١٩٣٧ .

ـ أسس النقد الأدبي عند العرب : د. أحمد أحمد بدوي ، م. نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ص ٨٦ ـ ٨٧ / ١٩٥٨ .

ـ مقدمة لدراسة النقد في الأدب العربي د. أنيس المقدسي ص ٣ و٤ ط. في بيروت لأول مرة ١٩٥٨ .

ـ تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ص ٧٤ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، د. محمد زغلول سلام دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

ـ النقد الأدبي لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي بيروت ص ٤٧٦ / ١٩٦٧ .

ـ النقد العربي القديم : د. داود سلوم ، مكتبة الأندلس بغداد ص ٢٠٢ / ١٩٦٩ . =

سلام ؛ مما يعزز الاعتقاد بأنه المصدر الأوفى[1] . ومع ذلك فقد بقيت ترجمة ابن سلام تفتقر إلى التفاصيل التي تسعف الباحث في معرفة مختلف جوانب حياة الرجل الشخصية ، والثقافية ، والاجتماعية .

وهكذا لم يكن بوسع أصحاب التراجم ، بعد الخطيب البغدادي ، أن يضيفوا شيئاً ذا غناء ، إلى ترجمة ابن سلام ، وأخذ اللاحق يقتفي أثر السابق ؛ فضاقت السبل بالباحثين ، عن تفاصيل حياته ، وجوانبها : كيف نشأ ؟ وأين تلقى علومه ؟ وما هو مصدر رزقه ؟ ما مدى صلاته ؟ ما تنقلاته ؟ ما هي أخلاقه ؟ فالجواب على قدر من هذه الأسئلة يعين على فهم شخصيته ، ويكشف الكثير من جوانب نفسه ، فيسهم في تكوين صورة حية للرجل .

فالفهرست كمصنف في تاريخ الثقافة والحضارة لم يعن صاحبه بذكر تراجم المؤلفين بل عني بتصنيفهم وذكر مصنفاتهم ومؤلفاتهم ؛ لذلك رأيناه عند ذكره ابن سلام يصنفه بين الاخباريين والرواة ، ويذكر كتبه .

أما ما بقي من كتب طبقات النحويين واللغويين وأخبارهم ؛ فإنها عنيت بتصنيف ابن سلام في طبقات اللغويين والنحويين البصريين . ولم تضف جديداً إلى ما ذكره الزبيدي الاندلسي ؛ غير ما ذكره ياقوت الرومي ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م ، في « إرشاد الأريب » ، من أنَّ محمد بن

= ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٣٨ د. إحسان عباس ، دار الأمانة مؤسسة الرسالة ١٩٧١ .
ـ تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ / ٢٠٢ ج. زيدان ط. مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٧ .

(١) تاريخ الأدب العربي ر . بلاشيرج ١/ ١٧٤ هـ . ترجمة د. إبراهيم كيلاني ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٣ : تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٧ وهو المصدر الأساسي .

عبدالملك بن السراج التاريخي ، هو تلميد محمد بن سلام ، وأنه صاحب كتاب « أخبار النحاة أو النحويين »[1] . وأما ما ورد ذكره عن الرجل في « بغية الوعاة من طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م[2] كالذي ذكره من قبل ابن الانباري والقفطي ، وياقوت ، وغيرهم ممن لحقهم، منقول عن الخطيب البغدادي ، أو يعود مصدره الأساسي إليه ، وإلى الزبيدي .

ذلك جل ما تطالعنا به كتب القدماء عن حياة ابن سلام . وليس ما كتبه المعاصرون[3] بأوفى مما كتبه القدماء . وقد ظلوا يعتمدون على ما جادت به كتب الأقدمين من أسطر قليلة ، لا تفي التعريف بالرجل . . وهكذا لم يبق بين أيدينا غير كتابه « **طبقات الشعراء** » ، وغير ما ذكره الخطيب في تاريخه. على أن لا نغفل الإفادة من هذا النزر اليسير من أخبار أصحاب التراجم ، وكتب التأريخ . فالصورة التي يمكن أن نخرج بها من هذه المصادر تكاد تقربنا ، ما يتيسر الاقتراب ، من معرفة شخصيته .

ب ـ اسمه ونسبه :

هو محمد بن سلام بن عبيدالله بن سالم ، أبو عبدالله البصري مولى

---

(١) أخبار النحويين لمحمد بن عبدالملك السراج ، ذكره ياقوت في الإرشاد ج ٢ / ١٥١ ، وج ٧ / ١٣ و٤٥٥ ، و٢ / ٣٤٧ ، و٣ / ٥٩١ ، و٤ / ٣٣٧ وعنوانه « عقدة أخبار النحاة » لا يوجد منه سوى نصوص متفرقة فيما ذكرنا .

(٢) بغية الوعاة ج ٢ / ٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٢ طبع بالقاهرة ١٣٢٦ هـ / ١٩٢٠ م .

(٣) تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان الجزء ٢ / ١٥٢ ـ الموسوعة الفرنسية م ٣ / ص ٩٥٢ دائرة المعارف للبستاني رقم ٧٧ ـ ط ١٩٢٣ .

قدامة بن مظعون الجمحي ، وهو أخو عبدالرحمن بن سلام[1] . لم يخالف في ذلك أحد ممن ذكره ، ولم يزد عليه غير أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ، حين أضاف إلى نسبته أنه « مولى محمد بن زياد[2] . أما ابن النديم ، فقد اكتفى بذكر الكنية والاسم والنسبة . فقال : « أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي[3] ، ونسبه ابن الانباري إلى البصرة دون أن ينسبه إلى جمح . فقال : « أبو عبدالله محمد بن سلام بن عبيدالله بن سالم البصري . . »[4] .

وقد يكون ما ورد في طبقات النحويين واللغويين من إضافة نسبه الرجل إلى « محمد بن زياد » ، لا يعدو كونه خطأ من الناسخ أو المؤلف ؛ ذلك أن جميع المصادر التي اطلعنا عليها لم تذكر هذه الإضافة ، وأما ما أضافه الخطيب البغدادي ، في معرض ما تناهت إليه أخبار الرجل ، قائلاً : « أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري أخبرنا محمد بن الحسين السلمي قال : محمد بن سلام بغدادي . . . » لا يعدو كونه دعماً لمكانته العلمية ؛ فأصبح أحد شيوخ مدرسة بغداد ، إثر انتقاله إليها ، بعد أن كان أحد شيوخ مدرسة البصرة .

اعتقد أن التسمية والنسبة التي ذكرها ابن النديم كافية للتعريف بالرجل . ولا خلاف عليها[5] . وقد يستغنى بالاسم دون الكنية والنسبة :

---

(١) تاريخ بغداد الطبعة الأولى م ٥ / ٣٢٧ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ج ١ / ١٨٠ رقم ٩٦ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .

(٣) الفهرست تحقيق فلوجل ص ١١٣ (١٨٧١ - ١٨٧٢) .

(٤) نزهة الألباء لعبدالرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار النهضة بمصر ص ١٥٧ / ١٩٦٢ .

(٥) « أبو عبدالله محمد بن سُلام الجمحي » الفهرست ١١٣ .

« محمد بن سلام » ؛ فليس بين أعلام عصره من يشاركه في ذلك . وهذا ما اعتمده الخطيب البغدادي لدى ذكره الرجل تحت عنوان : « ذكر من اسمه محمد واسم أبيه سلّام »[1] .

ج ـ مولده ، وأصله ومذهبه :

ولد محمد بن سلام حوالي سنة ١٣٩ هـ (مئة وتسع وثلاثين للهجرة أو في السنة التي تليها) في البصرة ، الموافق لسنة ست وخمسين وسبعماية أو لسنة سبع وخمسين وسبعماية إن صحت رواية الزبيدي في تحديد تاريخ وفاته سنة إحدى وثلاثين ومائتين للهجرة[2] ، أو صحت رواية أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب ، وحديث حسين بن فهم ، التي ذكرت أن ابن سلّام قدم بغداد سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، وقد بلغ من العمر في حينه ، اثنتين وثمانين سنة ، وأنه عاش بعد ذلك عشر سنين أخرى[3] .

فإذا اعتمدنا ما ذكره الخطيب البغدادي ، وابن الانباري والزبيدي حول تاريخ وفاة الرجل[4] ؛ ذلك أن الخطيب البغدادي لم يذكر تاريخ الميلاد . واعتمد الروايتين ، في تحديد سنة الوفاة : سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وهي رواية محمد بن أحمد بن رزق وابن قانع وسنة إثنتين وثلاثين ومائتين وهي رواية حسين بن فهم ، يكون ابن سلام قد ولد في سنة مئة وتسع وثلاثين أو في سنة مئة وأربعين للهجرة .

وهكذا درج اللاحقون[5] على اعتماد ما ذكره السابقون من تحديد تاريخين للميلاد .وتاريخين للوفاة .

---

(١) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٧ رقم ٢٨٥١ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٠ .

(٣) تاريخ بغداد ٥ / ٣٣٠ .

(٤) نزهة الالباء ص ١٥٧ .

(٥) تاريخ الأدب العربي ر. بلاشير ١ / ١٧٤ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ / ١٥٢ .

أما تحديد أصل الرجل، فقد أغفله القدماء والمحدثون ؛ ذلك أن تحديد أصله لا يغير شيئاً من مكانته العلمية أو الأدبية أو الاجتماعية ، سيما وأن روح العصر الذي عاش فيه لم تحركها نوازع الأثرة القومية كثيراً ، خصوصاً في أوساط أهل العلم والأدب . وكتب التراجم والتاريخ جل ما أشارت إليه أنه « مولى قدامة بن مظعون الجمحي »[1] . أو أنه : « مولى محمد بن زياد »[2] . وهذا ما يشير إلى أنه قد يكون من الموالي أصلاً . غير أن ما ذكره ابن النديم ، من ترجمة لابن سلام : « أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي » . ومن ترجمة لأبي خليفة الفضل بن الحباب ، وهو ابن أخت ابن سلام : « الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي البصري من بني جمع[3] ، ما قد يبعث على الثقة بأن أصل ابن سلام من بني جمح ، وهو أصل عربي في الغالب .

ولعل ما يدفعني إلى هذا الاعتقاد ، كونه من أوائل علماء اللغة والأدب والحديث . وأن والده كان ضليعاً بالشعر وعلم المفردات[4] ؛ ذلك أن الجيل الأول من علماء اللغة ، والحديث والأدب ، كان في الغالب من العرب أصلاً[5] .

مذهبه :

ولعل الدليل القاطع في مسألة تحديد مذهب ابن سلام لا يبقى معوزاً ، كما كان في مسألة تحديد أصله . علماً أن كتب التراجم وطبقات

---

(١) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٧ .
(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ١٨٠ .
(٣) الفهرست ص ١١٣ و١١٤ .
(٤) نزهة الالباء ص ١٥٧ و١٥٨ وتاريخ بغداد ج ٥ / ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، بغية الوعاة للسيوطي ٤٧٢ ، و٧ / ١٣ .
(٥) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ / ١٢٤ و١٢٥ .

النحويين واللغويين وطبقات المحدثين وطبقات المذاهب ، لم تشر إلى مذهب الرجل . وهو لغوي بصري . وهو « محدّث » ، حدّث عن حمّاد بن سلمة ، ومبارك بن فضالة ، وزائدة بن أبي الرقّاد ، وأبي عوانة . . . وروى عنه أبو بكر بن أبي خيثمة ، وعبدالله بن أحمد بن حنبل ، وأبو العباس ثعلب ، وأبو بكر المطوعي ، وأبو العباس أحمد بن علي الأبار وغيرهم »[1] : فهو مسلم محترز ، من المؤمنين الأتقياء الثقات ، ولم يداخل الشك أحداً من أعلام عصره في ذلك . ولم يؤاخذه أحد منهم في صدق إسلامه . علماً أنه قد أخذ عليه قلة تحققه في بعض ما روي عنه من أحاديث ؛ خصوصاً حديث « جرير » وحديث « أم عطية » . من ذلك ما قاله أحمد بن حنبل لابنه عبدالله ، عندما سأله عن حديث « جرير » : هذا ليس من حديث مغيرة ، هذا حديث الأعمش ، أخطأ هذا الشيخ على أبي عوانة »[2] : وهو يقصد بالأعمش ، ابن سلاّم .

ومما عرف عنه أنه لم يكن حريصاً على الدنيا ؛ ومن ذلك ما قاله لطبيبه ابن ماسويه عندما جسّه : « . . . والله ما ذاك لحرص على الدنيا . . ولو وقفت بعرفات وقفة ، وزرت قبر رسول الله ﷺ زورة ، وقضيت أشياء في نفسي ، لرأيت ما اشتد عليّ من هذا ، قد سهل . . »[3] . ولعل ما يعزز هذا الاعتقاد ، ما ذكره الخطيب البغدادي نقلاً عن تاريخ أبي عبدالرحمن السلمي ، من أن « محمد بن سلام أحد شيوخ الصوفية » وأنه « من أصحاب الجنيد »[4] .

---

(١) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٧ ـ ٣٣٠ .

(٢) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٨ .

(٣) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٩ .

(٤) تاريخ بغداد ٥ / ٣٣٠ « أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري أخبرنا محمد بن الحسين السلمي قال : « محمد بن سلام بغدادي من أصحاب الجنيد » .

د ـ نشأته :

نشأ ابن سلام في البصرة ، في بيت علم وأدب ، فوالده سلام بن عبيدالله بن سالم الجمحي ، كان ضليعاً بالشعر وعلم المفردات ؛ وأخوه عبدالرحمن بن سلام الجمحي ، أحد رواة الحديث . روى عنه مسلم وأبو زرعة وأبو حاتم[1] ؛ وقد عرّفه الخطيب البغدادي في تاريخه بإضافته إلى أخيه عبدالرحمن . فقال : « . . . هو أخو عبدالرحمن بن سلام »[2] .

وتلقى ابن سلام في البصرة ، دروساً تقليدية في علوم الدين واللغة والأدب . كما درس علم الحديث والمنطق والفقه ، خصوصاً ، على والده وشقيقه . وعلى أستاذه حماد بن سلمة درس النحو . وهو إمام قديم العهد ، ونحوي لغوي كبير . ومنه تعلم يونس بن حبيب النحوي علوم العربية[3] .

إذاً ففي البصرة نشأ ابن سلام وترعرع . وفي مدارسها تعلم وحصل معارف جمة . وفيها عاش طفولته وصباه وشبابه ، وغدا أستاذاً في مدرستها يدرس الحديث وعلم الشعر واللغة والرواية[4] . وتجمع المصادر على أن ابن سلام عاش في البصرة إلى أن بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة ، ثم انتقل إلى بغداد ، وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين ومائتين ؛ فاعتل علة شديدة ، فما تخلف عنه أحد ، وأهدى إليه الأجلاء أطباءهم . وكان ابن ماسويه ممن أهدي إليه .

وقد لبث في بغداد بعد ذلك ، عشر سنين ، إلى حين وفاته فيها[5] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٦ / ١٩٢ ؛ وخلاصة تهذيب الكمال ص ١٩٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٧ . .

(٣) أنباه الرواة على أنباه النحاة ج ١ / ٣٢٩ / ٣٣٠ ؛ وتاريخ بغداد ٥ / ٣٢٧ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ١٨٠ .

(٥) تاريخ بغداد ٥ / ٣٣٠ .

ويشير ذلك إلى المكانة الاجتماعية والعلمية المرموقة التي حظي بها الرجل ، سواء كان ذلك في البصرة أولاً ، أم في بغداد أخيراً .

وهكذا ، عاش ابن سلام حياة مديدة جاوزت التسعين سنة قليلاً ، وكانت حياة حافلة بأصناف المعارف والعلوم حافلة بالعطاء السخي . كما كانت حافلة بالآلام والمصائب التي ألمت به فابيضّت لحيته كما ابيض رأسه ، وهو لم يبلغ من العمر بعد أكثر من سبع وعشرين سنة[1] . وليس ذلك بكثير على من كانت حاله كحال ابن سلام ، الذي أفنى « ثلاثة أهلين » : تزوج ، وأطفل فماتوا ، ثم فعل مثل ذلك فماتوا ، ثم فعل الثالثة فماتوا ! وهو في الرابعة من دون أولاد . وذكر من ولده عون بن محمد بن سلام [2] . ولعل ذلك كان فيما بعد هذه الزيجة .

وفاتــه :

أجمعت كتب التراجم والتأريخ على ذكر تاريخين لوفاة ابن سلام ، وذكر مكانين لها : فالزبيدي الأندلسي ذكر أن وفاة ابن سلام كانت سنة إحدى وثلاثين ومائتين بالبصرة[3] . أما الخطيب البغدادي ، فقد أورد روايتين في ذلك : الأولى رواية حسين بن فهم التي تقول : « مات محمد بن سلام سنة اثنتين وثلاثين ومائتين » والثانية ، رواية محمد بن أحمد بن رزق عن ابن قانع ، تقول : « مات محمد بن سلام في بغداد سنة إحدى وثلاثين

---

(١) تاريخ بغداد ٥ / ٣٣٠ .

(٢) تاريخ بغداد ٥ / ٣٣٠ روى ذلك أبو خليفة الفضل بن الحباب راوي كتابه « طبقات الشعراء » وكان أبو خليفة إذا حدّث بهذا الحديث أنشد شعر النابغة الجعدي : «ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الاله هو المستآسا :
أي المستعاض والمستعان .

(٣) الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي ٣ / ٢ : ٢٨٧ .
وطبقات النحويين واللغويين ١٨٠ رقم ٩٦ .

ومائتين »[1] . وأما ابن الانباري ، فيقول « . . توفي محمد بن سلام سنة إثنتين وثلاثين ومائتين . وكان ذلك في السنة التي مات فيها الواثق وبويع للمتوكل بن المعتصم . . »[2] . فالأرجح أنه توفي في بغداد سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م .

ثقافتــه :

حصّل ابن سلام ثقافة واسعة وعميقة اتسعت لها حياته العلمية الطويلة وأغناها تنوع المعارف التي اضطلع بها . ومكنتها صلاته الوثيقة بأعلام عصره ومناهل العلوم التي نهل منها . ورسختها تجاربه وطول مدارسته . وهو القائل : « إن كثرة المدارسة لتعدي على العلم » . يصدر في ذلك ، عن روح علمي ، وعن ميراث أدبي ولغوي مجيد ، أخذه عن أبيه سلّام الذي روى عنه في مواضع كثيرة من « **طبقاته** » ، وعن أخيه عبدالرحمن أحد رواة الحديث .

درس الأدب والشعر والرواية ، فصار يعد من « جملة أهل الأدب »[3] ، وألّف كتاباً في **طبقات الشعراء** .

درس علم الأنساب والأخبار ، فغدا علّامة فيه ، يضع المصنفات ، حتى عدّه ابن النديم أحد الإخباريين والرواة[4] .

تلقى علم اللغة والنحو على أستاذه حماد بن سلمة ١٦٩ هـ / ٧٨٤ م ، فأصبح أستاذاً لعلم اللغة في مدرسة البصرة ؛ فعدّه الزبيدي

---

(١) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٩ / ٣٣٠ .
(٢) نزهة الالباء ص ١٥٧ و١٥٨ .
(٣) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٨ ، ونزهة الالباء ص ١٥٧ .
(٤) الفهرست ١١٣ .

الأندلسي في الطبقة الخامسة من اللغويين والنحويين البصريين[1] .

كذلك درس الفقه وعلم الحديث حتى سمع منه شيوخه ، فروى عنه أحمد بن حنبل وابنه عبدالله بن أحمد ، وأبو العباس ثعلب ، وأبو بكر بن أبي خيثمة ، ويحيى بن معين . . وأبو خليفة القاضي . . . وكان صدوقاً بشهادة صالح بن محمد جزرة الحافظ[2] ؛ إذ روى عنه مسلم ثلاثة عشر حديثاً[3] ، وأبو حاتم والرياشي ، والمازني ، والزيادي ومحمد بن حاتم الزمّي [4] ، وغيرهم .

وهكذا اختلف ابن سلام إلى دور العلم والأدب ، وتنقل بين حواضرها في البصرة وفي بغداد . كما اختلف إلى العلماء فيها ، واختلف إليه العلماء فسمع منهم . وسمعوا منه ، وروى عنهم ، ورووا عنه .

قال أحمد بن زهير : « كان يحيى بن معين قد ذَهَبَ كَتَبَ عنه . كتبت أنا ليحيى بن معين النسب عنه بخطي ، وسمعت القواريزي يقول : كنت أمر بزائدة بن أبي الرقّاد وهو ملقى على بابه وكتبت عنه حديثه ، وكان عنده درج كتبت كل شيء كان عنده . . »[5] ، فمن كان هذا شأنه يكون موضع ثقة العلماء والدارسين . ولما قدم إلى بغداد كانت شهرته العلمية قد سبقته إليها ؛ فلم يتخلف عنه أحد . « وأهدى إليه الأجلاء أطباءهم »[6] ، ولا غرو في ذلك ؛ إذ كان على صلة ، سواء في البصرة أم في بغداد ، بعددٍ لا

---

(١) طبقات النحويين واللغويين .
(٢) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٩ .
(٣) تهذيب التهذيب ٦ / ١٩٢ .
(٤) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٧ ـ ٣٣٠ .
(٥) تاريخ بغداد ٥ / ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .
(٦) من حديث حسين بن فهم في تاريخ بغداد ج ٥ / ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

يستهان به من علماء العصر ، ومن بينهم أسماء كبيرة في عالم الأدب العربي ، كالأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي زياد الأنصاري ، والمفضل الضبي ويونس وخلف وبعض الشعراء مثل بشار ومروان بن أبي حفصة . ولعل أبرز مصادر ثقافته ، شيوخه الذين ذكرهم في كتابه « **طبقات الشعراء** » وعدتهم سبعون شيخاً[1] . وممن لم يرد ذكرهم في الطبقات وذكر الخطيب البغدادي

---

(١) طبقات الشعراء : أبان الأعرج ؟ أبان بن عثمان البجلي إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، الأصمعي (عبدالملك بن قريب) ، بشار بن برد العقيلي الشاعر ، أبو بكر بن محمد بن واسع السلمي ، أبو بكر الهذلي المدني ، أبو البيداء الرياحي ، أبو عبد الله الفزاري (جابر بن جندل) ابن جعدبة (يزيد بن عياض بن جعدبة) ، حاجب بن يزيد (أبو الخطاب الزواري) ، الحارث البناني أخو أبي الجحاف ، الحارث بن محمد بن زياد ، أبو الحصين المدّي ، والحكم بن قنبر ، الحكم بن محمد ، حلابس العطاردي ، خلّاد بن قرة بن خالد السدوسي ، خلّاد بن يزيد الباهلي ، خلف الأحمر : ابن دأب (عيسى بن زيد بن دأب) أبو رجاء الكلبي ، أبو يزيد الأنصاري ، سعيد بن أوس ، سالم بن أبي السمحاء ، سعيد بن عبيد ، سعيد بن أبي عدي الفقيه ، سفيان (؟؟) ، سلام بن عبدالله الجمحي (أبوه) ، سلمة بن عيّاش ، أبو سوار الغنوي ، شعيب بن صخر (جد أبي خليفة الجمحي) ، عامر بن أبي عامر ، صالح بن رستم الحراز ، عامر بن عبدالملك بن مسمع الجحدي ، عبدالجبار بن سعيد بن سليمان المساحي ، عبدالرحمن بن محمد بن علقمة الضبي ، عبدالقاهر بن السري السلمي ، عبدالله بن مصعب (أبو بكر الزبيري المصعبي) عبدالملك بن عبدالعزيز الماجشون ، أبو عبيدة (معمر بن المثنى) ، عثمان بن عبدالرحمن ، عثمان بن عثمان ، العطّاف ، العلاء بن حريز العنبري ، أبو علي الحرمازي ، عمر بن السكن الصرعي ، عمر بن موسى الجمحي ، ابن عون (عبدالله بن عون) ، عيسى بن عمر ، أبو الغرّاف ، الفضل بن العباس الهاشمي ، أبو قيس العنبري ، كردين (مسمع بن عبدالملك) ، أبو محرز (واصل بن شبيب =

وأبو حاتم الرازي أنه حدّث عنهم : « مبارك بن فضالة ، وزائدة بن أبي الرقّاد ، وأبي عوانة ، وخالد الواسطي ، وعمر بن علي بن مقدم ، وحمّاد بن سلمة »[1] .

كذلك روى في الطبقات عن مجاهيل لم يبينهم تحديداً : بعض أهل العلم من غطفانٍ[2] ، وبعض أهل الكوفة[3] ، وبعض أهل العلم بالمدينة[4] ، وبعض رواة قيس وعلماؤهم (؟) ، رجل من بني أمية شامي (؟) ، شيخ من ضبيعة (؟) ، وكانوا بذلك من مصادر أخباره وعلومه ورواياته . وروى عنه طبقاته وأحاديثه أبو خليفة الفضل بن الحباب[5] . ويستدل الباحث على مواضيع ثقافته. وميادين اختصاصه من المقدمة التي

= المنافي) ، محمد بن أبان ، محمد بن جعفر الزيبقي ، محمد بن الحارث ، محمد بن الحجاج الأسيدي (الأسيدي أخو بني سلامة) ، محمد بن عائشة التيمي ، محمد بن سليمان ، محمد بن الفضل الهاشمي ، محمد بن معاذ المعمري ، مروان بن أبي حفصة الشاعر ، مسلمة بن محارب (مسلمة بن عبدالله بن سعد بن محارب) ، المسيّب بن سعيد ، معاوية بن أبي عمرو بن العلاء ، المفضل بن محمد الضبي الكوفي ، أبو المنذر القاري (سلام بن سليمان) أبو الورد الكلابي ، أبو اليقظان ، يونس بن حبيب .

(١) تاريخ بغداد ج ٥/٣٢٧ ـ ٣٣٠ .

(٢) طبقات الشعراء ٩٢ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ص ١٢٣ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ص ٢٠٩/٣٧٤/٤٠٩/٤٣٠ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٦٥ (المصرية) و١١٤ (الألمانية)، « وكان أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي « من رواة الأخبار والأشعار والأنساب » كما أثبت ذلك ابن النديم في الفهرست ص ١١٤ « وهو مستند عصره في الحديث بالبصرة رحل إليه العلماء ، وكان ثقة ، روى عن الأئمة الكبار ، كأبي الوليد الطيالسي وأحمد بن حنبل ، وولي قضاء البصرة » .

وضعها على الطبقات حيث يتناول موضوع علم الشعر ويقارنه بأصناف العلوم والصناعات الأخرى .

ويذكر أنه درس أنساب العرب ، وأخبار فرسانها وأشرافها وأيامها[1] .

كما درس علم اللغة ، والنحو ، والقراءات ، وعلم العروض . وذكر تاريخ نشأة هذه العلوم ومؤسسيها[2] . وتظهر مؤلفاته تنوع وشمول ثقافته بتنوع مواضيعها .

مؤلفاته :

ذكرت كتب التراجم والمصنفات أن ابن سلام وضع الكتب التالية :

١" ـ كتاب « الفاصل في ملح الأخبار والأشعار »[3] : وقد فُقِدَ ولم يصل منه غير بعض « الملح والأخبار » التي وردت مروية عنه دون تحديد المصدر ، في الأغاني ، وفي الأمالي ، وفي المزهر . . . مختلطة بما رُوي عنه من كتاب الطبقات .

٢" ـ كتاب « بيوتات العرب » : وقد فقد أيضاً[4] .

٣" ـ كتاب « طبقات الشعراء »[5] . وقد حققه جوزف « هل » وطبعه في ليدن سنة ١٩١٦ . وتوجد نسخة مخطوطة منه في مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة ، وكذلك النسخة المخطوطة التي اعتمدها محمود محمد شاكر ونشرها مطبوعة في القاهرة سنة ١٩٥٢ ،وقال أنه استقدمها من بغداد تباعاً على أوراق متفرقة .

٤" ـ كتاب « الحلاب وإجراء الخيل »[6] ، الذي ذكره ابن النديم ، وقد فقد ولم يصل إلينا منه شيء .

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٢ ـ ١٥ .

(٢) طبقات فحول ١٥ ـ ٣٢ .

(٣ ، و ٤ و ٥ و ٦) الفهرست ص ١١٣ .

٥" ـ كتاب « الفرسان » أو « فرسان الشعراء » الذي ذكره أبو الفرج وأورد بعضاً منه في الأغاني ، من بين أسانيده عن أبي خليفة عن ابن سلام[1] .

٦" ـ كتاب « غريب القرآن » الذي لم يذكره ابن النديم ؛ وإنما ذكره ياقوت في معجم الأدباء[2] . وهو مفقود إلى الآن .

٧" ـ كتاب « طبقات الشعر»[3]، وقد ذكره ياقوت وهو مفقود أيضاً .

٨" ـ كتاب « طبقات العلماء » ، وقد ذكره أبو علي القالي في الأمالي[4] ؛ ولم يرد ذكره في بقية كتب التراجم والمصنفات .

٩" ـ كتاب « طبقات المغنين » الذي ذكره الأغاني في كلامه على أخبار المغنين ، ولم يرد ذكره في غيره من كتب المصنفات والتراجم والأخبار .

بالنسبة لما ذكره ابن النديم لابن سلام من كتب ، يمكننا تسجيل الملاحظات التالية :

١ ـ لم يستوعب فهرست ابن النديم كل كتب المؤلف ، والأرجح أنه سقط ذكر كتاب « غريب القرآن » وذكر كتاب « الفرسان » أو « فرسان الشعراء » من بينها . وقد يكون قد ذكر منها ما اشتهر به صاحبها ؛ وهو لم يكن ليذكر كل كتب المؤلفين في « الفهرست » . ولا هو أدعى ذلك . فقد ذكر لابن سلام من الكتب ما يجعله « أحد الأخباريين والرواة .

٢ ـ أما ذكره كتابين لابن سلام ، في « طبقات الشعراء » : الأول للجاهليين ، والثاني للاسلاميين ، فلا يكفي للدلالة على أنهما كتابان

---

(١) الأغاني ١٦/١٣٤ ساسي ـ و ١٠/٣ و ٨/ ٢٤٦ و ١٤/٣١ و ١٢٥ ط . دار الكتب .

(٢ و ٣) معجم الأدباء ح ٧/١٣ .

(٤) الأمالي ح ١/١٥٧ .

منفصلان . ذلك أن القدماء كانوا إذا اختلف الموضوع في الكتاب الواحد ، سمّوا كل باب كبير منه كتاباً . وسائر النقول عن « **الطبقات** » تدل دلالة واضحة على أنه كتاب واحد[1] . لذلك أوردته كتب التراجم والتأريخ على أنه كتاب واحد[2] .

٣ ـ وأما عن اسم الكتاب : « **الفاصل في ملح الأخبار والأشعار** » ، في موضع « **الفاضل** » فلعله خطأ ناسخ « الفهرست » الذي أسقط الضاد المعجمة عن سهو، أو أن نقطة الضاد سقطت بتوالي نسخ الكتاب مع الزمن ، فتغير لفظ إسم مصنف ابن سلام بعد طبع الفهرست . وكذلك يصح القول في إسم كتاب « **أجر الخيل** » ؛ فقد يكون في الأصل « **أجراء الخيل** » ، ثم سقطت الألف والهمزة ، سهواً ، من الناسخ .

ومما يرجح أن ابن سلام ألّف كتاباً آخر ، هو كتاب « الفرسان » أو « فرسان الشعر » ، ما رواه أبو الفرج في « الأغاني » ، حين ذكر دريد بن الصمة ، قائلاً : « وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفرسان »[3] . وحين ذكر حفاف بن نويرة ، فقال : « وجعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نويرة ، ومع ابني عمه صخر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد ، ومالك ابن حمار الشمخي »[4] . كذلك ما رواه أبو الفرج عن أبي خليفة عن ابن سلام حين قال : « أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام ،

---

(١) الأغاني ج ٥/١٢ وج ١١/١٢١ ط . ساسي و ٢/١٥٨ ط . دار الكتب المصرية وج ٨/٢٩٥ ط . دار الكتب وغيرها كثير ، يبلغ أربعة وخمسين إسناداً .

(٢) تاريخ بغداد ٥/٣٢٧ وبغية الوعاة ٤٧ ونزهة الألباء ومعجم الأدباء ٧/١٣ وغيرها .

(٣) الأغاني ج ٩/٢ ط . ساسي .

(٤) الأغاني ج ١٦ ص ١٣٤ ط . ساسي و ١٠/٣ ـ ط . دار الكتب المصرية .

قال : كان عمرو بن معد يكرب ، يقول : ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ، ما لم يلقني حرّاها وهجيناها . . يعني بالحرين : عمر بن الطفيل وعتبة بن الحارث بن شهاب . وبالعبدين : عنترة والسليك بن السّلكة »[1] .

ومن الأدلة على أن ابن سلام كان قد صنّف كتاباً في « فرسان الشعراء » ، ما ذكره في صدر « طبقات الشعراء » ، حين قال : « ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها ، وفرسانها ، واشرافها ، وأيامها ، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها فبدأنا بالشعر[2] . فإذا كان « طبقات الشعراء » في الشعر والشعراء كما حدده مؤلفه ؛ فإنه لفت الانتباه إلى أنه سوف يتبع كلامه في **الشعر والشعراء** بكلام على « **فرسان العرب** » ثم «**أشراف العرب وساداتها**» ثم « **أيام العرب** » ؛ فما من شك في أنه صنف كتاباً في «**فرسان الشعراء** » ، بعد « **الطبقات** » .

ـ أما ما ذكره صاحب معجم الأدباء من أن اسم الكتاب هو « **طبقات الشعر** » ، فإنه لا يعدو كونه خطأ في التسمية ذلك أن ابن سلام قال في مقدمته على « **الطبقات** » : . . فبدأنا بالشعر . . »[3] . مما جعل الأمر يختلط على ياقوت في اسم الكتاب ، فجعله كتاباً في « **طبقات الشعر** » .

ـ وأما ما ذكره أبو علي القالي ، لابن سلام ، من كتاب في « طبقات العلماء » ؛ فهو خطأ أيضاً ، تاتج عن الخلط بين « **طبقات الشعراء** » ،

---

(١) الأغاني ج ٨ ص ٢٤٦ ـ ط . دار الكتب المصرية والأغاني ج ١٤/ ٣١ و ١٢٥ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٥ ـ .
(٣) طبقات الشعراء ص ٦ ـ ٧ .

و « طبقات العلماء ؟ » أو أن صاحب « الأمالي » عنى بذلك صدر كتاب « طبقات الشعراء » حيث ذكر ابن سلام علماء العربية[1] ؛ فسمّى كلّ الكتاب ببعضه . وكانت له هذه التسمية .

وقد يكون ابن سلام ألّف كتاباً في المغنين ؛ ذلك أن أبا الفرج روى بأسانيده عن ابن سلام ، في أكثر من موضع ، يذكر فيه المغنين . أو لعل الأمر قد اختلط على أبي الفرج ؛ فذكر هذه الأخبار دون أن ينسبها إلى كتاب معين لابن سلام . والأرجح أن هذه الأخبار مأخوذة من كتابه « الفاضل في ملح الأخبار » . أو الفاضل[2] .

وكذلك ، ظن « هل » محقق « طبقات الشعراء » ، أن راوي الكتاب ، أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ٣٠٥ هـ/٩١٩ م ، قد خلط بين طبقات ابن سلام وبين كتاب « الفرسان » ، أو كتاب آخر لأبي خليفة يحمل اسم « طبقات الشعراء »[3] . غير أن الشائع عند العلماء القدماء اشتراك الكتب في الأسماء ؛ فهناك عدة كتب اشتركت بإسم « طبقات الشعراء » : منها « طبقات الشعراء » لمحمد بن داود[4] ، و « طبقات الشعراء » للشاعر دعبل بن علي الخزاعي ٢٧٦ هـ/٨٦٠ م[5] . وكذلك صنف ابن المعتز ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م كتاباً في « طبقات الشعراء »[6] . . ومن اشتراك الكتب بإسم واحد لمؤلفين مختلفين ما جاء تحت إسم « غريب القرآن » ، وما جاء تحت إسم « غريب الحديث »

---

(١) طبقات الشعراء ص ٩ - ١٦ .
(٢) الفهرست ص ١١٣ .
(٣) مقدمة « هل » على الطبقات ص ١٤ و ١٥ .
(٤) الفهرست ص ٤٨ و ١٦٠ و ١٦٠ .
(٥) كتاب الوزراء للجهشياري ص ٢٥٩ .
(٦) خزانة الأدب للبغدادي ج ٣ و ١٢١ .

وكتاب الشعراء ، و « الشعر والشعراء » . . فقد نجد لابن سلام ، مثلاً ، كتاباً بهذا الاسم . ثم نجد لتلميذه من بعده ، كتاباً يحمل الاسم ذاته . فالأوائل لم يعنوا كثيراً بهذا الوجه من التخصيص . ففي الفهرست لابن النديم ، العديد من الكتب المشتركة الأسماء بين مؤلفين مختلفين[1] . فهذا الأمر لا يكون سبباً وحيداً لوقوع النقلة والرواة وأصحاب التصانيف في الخطأ والخلط بين الكتب وأسانيدها ؛ إذ أنهم كانوا يعتمدون على إسناد الخبر ، وعلى إسناد الكتاب إلى صاحبه[2] .

ولعل ما يبعث على الأسف ، هو ضياع مؤلفات ابن سلام غير « طبقات الشعراء » . وفضلاً عن خسارتنا لها كقيمة من قيم التراث الأدبي والفكري ؛ فإننا نقف أسرى المظان عند القطع بتحديد نسبتها إليه .

ومهما يكن من أمر ذلك ، فإنَّ ما بقي لنا منها وهو كتاب طبقات الشعراء قد يسعفنا في معرفة مفهوم الرجل النقدي . ويدلنا على منهجه في التأليف واليحث .

---

(١) الفهرست ١١٠ و١٦٦ .
(٢) الأغاني ج ٣٠٧/٩ ط دار الكتب .

البَابُ الثّالِث

التَمهيد لحركة النقد الأولى

لعل أولى بوادر التأليف في النقد الأدبي ، التي تخللتها ومضات نقدية ، تمثلت بالتوجيه التعليمي ، هي تلك الرسالة[1] التي كتبها عبد الحميد الكاتب[2] . وهو أبو غالب عبد الحميد ابن يحيى بن سعد الأصفر مولى بني عامر بن لؤي المتوفي سنة ١٣٢ / هـ/ ٧٥٠ م في بوصير . وهو أول من صنف الرسائل الأدبية... وقد وجهها إلى الكتّاب في عصره في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد . وضمنها لمعات نقدية : « تنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وأبدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم . ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم . وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم »[3] .

ومن مثل هذه الرسالة التوجيهية ، رسالة بشر بن المعتمر إلى

---

(١) وردت في رسائل الجاحظ ص ٤٢ ـ نشر فنكل ـ وذكرها أبو هلال العسكري في « الصناعتين ص ٢٢٠ ـ ٢٢٥) .

(٢) المصدر نفسه ، ووفيات الأعيان ١ ـ ٣٠٧ ط . م بالقاهرة ؛ والفهرست لابن النديم ص . ١٧ و ١٨ ـ نشر فلوغل ١٨٧١ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١ ـ ص ٦٥ ـ ط ١٩٦٨/٢ ـ ت نجار .

(٣) رسائل البلغاء ص ٢٢٥ .

الكتاب : المعروفة بإسم « صحيفة بشر بن المعتمر » ، المتوفي سنة ٢١٠ هـ/٨٢٤ م/ . والرسالة لم تصل إلينا بنصها الكامل ، المثبت ، المستقل ؛ بل جل ما نعرفه منها هو شذرات في كتاب « البيان والتبيين »[١] للجاحظ ، وفي كتاب « الصناعتين » لأبي هلال العسكري ، مختلطة بآرائه ، وموجزة في « العمدة » لابن رشيق ـ (٤٥٦ ـ ٤٦٣ هـ)[٢] .

وقد يكون من الدقة في تحديد مراحل التطور للأعمال النقدية البدائية التي مهدت لولوج باب النقد الأدبي بالمفهوم القيمي ، اعتبار تلك الاختيارات والمنتخبات[٣] التي جمعها الرواة والإخباريون في مرحلة متقدمة ، من النشاطات التمهيدية لتشكيل موقف نقدي ، وتكوين نظرة تقويمية من النتاج الأدبي ، إذ أنها انطوت على موقف انتقائي على الرغم من تنوع الدوافع إلى جمع الشعر .

١" ـ مرحلة الاختيار :

لعل أقدم الاختيارات الشعرية الباقية ، هي تلك التي جمعها ، حمّاد عجرد ، الرواية[٤] ، الذي توفي في الكوفة حوالي سنة ١٥٦ هـ/٧٧٢ م ،

---

(١) البيان والتبين ج ١ ص ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ .
(٢) العمدة لابن رشيق ط ٢/ ص ١٤ ـ ١٦/ القاهرة ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ م .
(٣) منتخبات حماد الرواية (حمّاد عجرد) « السموط » و « المجمهرات » و « المذهبات » و « المراثي » .
(٤) هو ابن أحد الموالي ، ولد في منطقة الكوفة ، كان شاعراً وراوية ، كان ضليعاً بين ضلعاء الكوفة الثلاثة ، روى عنه الأصمعي بعض شعره وروى له صاحب الأغاني ج ٥/ص ٢٠٩ والمزهر ج ٢/٢٥٣ ، والأغاني ج ٥/١٦٤ ، ودائرة المعارف الاسلامية م ٢/ص ٢٦٧ .

تحت إسم « السموط »[1] ، والتي عرفت بإسم « المعلقات »[2] ، لأشهر شعراء الجاهلية[3] ، وقد تكون « الاختيارات »[4] ، للمفضل بن محمد الضبي[5] ، ﴿ الذي توفي حوالي سنة ١٦٤ هـ/٧٨٠ م أو ١٦٨ هـ/٧٨٤ م ، أو ١٧٠ هـ/٧٨٦ م) ، وهو من معاصريّ حمّاد ، المجموعة الثانية الباقية من المنتخبات التي عرفت ، في الفهرست ، لابن النديم ، « بالمفضليات »[6] ، وقد جمعها العالم اللغوي المفضل الضبي الكوفي ، لتلميذه ، محمد المهدي ، وهي مئة وست وعشرون قصيدة أو مئة وثمان وعشرون قصيدة ، حسب رواية ابن الأعرابي ٢٣٢ هـ/٨٤٦ م ، حفيد المفضل الضبي ، لسبعة وستين شاعراً أكثرهم من شعراء الجاهلية ، بينهم ستة من الاسلاميين[7] .

تتكون « المفضليات » من منتخبات شعرية على شكل مقتطفات أو قصائد كاملة لشعراء من البادية ، عاشوا في « أواسط الجزيرة العربية

---

(١) الفهرست ص ٩٢ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١ ص ٦٧ ـ ٦٨ ت . ع . د . نجار ط . دار المعارف في مصر ١٩٦٨ .

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٤٥ ، المزهر ج ٢/٤٨٠ ، وتاريخ الأدب العربي ـ ر . بلاشير ج ١/ ص ١٨٠ ـ ١٨٣ ترجمة الدكتور كيلاني .

(٣) هي سبع معلقات : لامرىء القيس وطرفة وزهير ، ولبيد ، وعمر بن كلثوم وعنترة ، والحارث بن حلزة . المعلقات ط . أحمد المحمصاني . القاهرة : وقد أضيفت إلى المعلقات السبع قصيدتي النابغة والأعشي ، وهي من المعلقات التي اختارها المفضل الضبي .

(٤) نزهة الألباء ص ٧٤ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، والمفضليات ط . القاهرة ١٣٢٤ هـ/٩٠٦ م .

(٥) فهرست ص ٦٨ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) تاريخ بغداد م ٥/ص ٢٨٢ ـ ٢٨٥ والمزهر للسيوطي ١/٢٥١ .

وشرقيها[1] بين سنة ٥٥٠ و ٦٥٠ م .

فإذا نظرنا بعين الاعتبار إلى مزايا المفضل بوصفه راوية ، وإلى شكه بالمعطيات التي جمعها حمّاد وتلاميذه ، وإذا أضفنا إلى ذلك أن المستشرق « ليال » طبع المفضليات طبعة نقدية محققة ، أمكننا القول : « إن لدينا مجموعة نادرة تفوق مجموعات ابن سلام وابن قتيبة وأبي زيد القرشي في عكسها اتجاهات الشعر العربي ، منذ عصور الجاهلية ، حتى منتصف القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد)[2] .

ومن بين المنتخبات الشعرية الباقية والتي تسهم في تحديد إطار هذه المرحلة ، هي مختارات جمعها ، أبو سعيد عبد الملك الأصمعي [3] ، المتوفي حوالي سنة ٢١٦ هـ/٨٣١ م ، أو سنة ٢١٥ هـ/٨٣٠ م . وقد عرفت « بالأصمعيات »[4] ، ويضم كتاب الأصمعيات ، اثنتين وسبعين قصيدة وقطعة (مجموع أبياتها ١١٦٣ بيتاً)[5] ، لواحد وستين شاعراً أكثرهم من شعراء الجاهلية ، سوى أربعة عشر شاعراً من المخضرمين والإسلاميين . ولم تعرف الأصمعيات ما عرفته المفضليات من شهرة وانتشار لكونها تمثل شواهد على دروس اللغة والنحو . إلاَّ أنها تشكل نموذجاً ومثالاً للشعر البدوي ، أو الشعر الجاهلي . وتلمح إلى ذوق صاحبها في استحسان الشعر ، وإلى المقياس الذي يقيس به كمال الشعر وجودته .

---

(١) تاريخ الأدب العربي - ر . بلاشير . ج ١/ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) تاريخ الأدب العربي الجزء الأول ص ١٨٥ - ر . بلاشير ترجمة د . كيلاني ط . دمشق وزارة الثقافة سنة ١٩٧٣ .

(٣) نزهة الألباء ١٥٠ و ١٧٢ وفيات الأعيان لابن خلكان رقم ٣٥٢ وطبقات الزبيدي رقم ٩٤ .

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٥٥ ؛ وقد نشرها المستشرق آ . لورد ، في برلين سنة ١٩٠٢ .

(٥) تاريخ الآداب العربية ، بروكلمان ، الجزء الأول ص ٧٤ و ٧٥ .

٢ ـ مرحلة الاختيار النوعي :

ظهرت في هذه المرحلة مختارات من الشعر مرتبة حسب المعاني ، والموضوعات الواحدة ، لشعراء مختلفين ، الغاية منها ، بيان قدرة كل شاعر على الخوض في الغرض الواحد ، والمعنى الواحد ، والتفوق في إصابة هذه المعاني : ولعل اقدم هذه المختارات المرتبة حسب معاني الشعر ، ما جمعه الشاعر ابو تمام المتوفي حوالي سنة (٢٣١هـ / ٨٤٥م) تحت عنوان « الحماسة »[1] أو « ديوان الحماسة » ويتألف هذا الكتاب من باب الحماسة ، ثم باب المراثي ، باب الادب (أو التأديب) ، باب النسيب ، باب الهجاء ، باب الاضياف ، والمديح ، باب الصفات ، باب الملح ، باب مذمة النساء . ويحظى باب الحماسة بالقسم الأكبر من « الديوان » ؛ حتى لتبدو الأبواب الأخيرة ضئيلة جداً إذا ما قيست به . والسمة الغالبة على الديوان أنه لا يضم قصائد كاملة ، وإنما مقتطفات قصيرة في الغالب . والشعراء اصحاب هذه المقطوعات المختارة ، في غالبيتهم من بين شعراء الجاهلية ، وبعضهم من صدر الاسلام . وحظيت « حماسة » أبي تمام بشهرة واسعة واتخذت مثلا يحتذي في المختارات التي اخذت التسمية عنها[2] فيما بعد .

أما قيمة هذا النموذج من الجمع الانتقائي ، في ميدان « النقد » التمهيدي ، فكبيرة ؛ إذ أنها تفسح في المجال امام المقارنة بين النصوص وتقويمها ، من حيث بلوغها اصابة المعاني ، ومقدار الجودة ، كي تظهر

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية م ١/ ص ٣ . تاريخ الادب العربي ر. بلاشير الجزء الأول ص ١٨٦ . وتاريخ بروكلمان ج١/٨١ : طبعت طبعات عديدة ، منها طبعة لنكو ١٢٩٣هـ /١٨٧٧م ، وط. بولاق ١٢٩٠هـ/١٨٧٤م . . بيروت ١٣٠٦هـ / ١٩٠٠م .

(٢) الفهرست ٨١ وخزانة الادب للبغدادي ج١ / ص٣٣ . دائرة المعارف الاسلامية م١ / ٣ (تعداد « الحماسات ») .

التفاوت في التعبير ، بين الشعراء ، حول الموضوع الواحد ، وتساعد بالتالي ، على تحديد مستوى نتاج الشعراء في العصر الواحد ، والمعنى والغرض نفسه . كما أنها تعرض امام الناقد ، أو المتذوق ، ألواناً مختلفة ومتنوعة ، لوجهات نظر متباينة ؛ فتنمي لدى الملاحظ ملكة التمييز القيمي . وتقوى ملاحظته النقدية ؛ فهي ذات هدف تعليمي .

وعدا هذه القيمة الانتخابية في مجال النقد ، تبقى لها قيمة تاريخية اذ انها تؤرخ لعدد من الشعراء المغمورين لم يعرفوا الا بالاسم ، لولا ورود ذكرهم في « الحماسة » . وينتمون الى عصر واحد تقريباً ، يعود الى (٦٤٠م أو ٦٥٠م)[١] . كما أنها قدمت مجموعة من النصوص الشعرية القديمة لعدد من الشعراء[٢] ، ما كانوا ليعرفوا بدون « الحماسة » . ولولا أن أبا تمام أورد في « الحماسة » ذكر بعض الشعراء المتأخرين ، كعطاء السندي ، لاقتصرت « الحماسة » على العصر الجاهلي ، لشعراء كاد يكتنفهم الغموض والنسيان ، فكشف عنهم أبو تمام في « حماسته » وعرض لنصوص شعرية لهم لها قيمتها التاريخية والنقدية . كذلك ألّف ابن الاعرابي[٣] ٢٣٢هـ / ٨٤٦م ، مجموعة منتخبات شعرية قصيرة ، مقصورة على باب المراثي[٤] ، وهي ذات طابع حكمي . ومن الممكن اعتبار « طبقة شعراء المراثي »[٥] ، في « طبقات » ابن سلام ٢٣٢هـ / ٨٤٦م ، نوعاً من هذا التصنيف للشعر والشعراء ، لحظ فيها صاحبها ، إلى جانب جمع

---

(١) تاريخ الادب العربي لبلاشير الجزء الأول ص ١٨٦

(٢) المرجع نفسه .

(٣) هو ابو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي من أصل بدوي سكن الكوفة ودرس فيها ، توفي حوالي سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٦م .

(٤) الفهرست ٦٩ ، بروكلمان ١ ـ ١٧٩ .

(٥) طبقات الشعراء ص ٧٨ وما بعدها .

شعراء الفن الشعري الواحد ، الترتيب الطبقي .

٣ ـ الاختيار وفق الذوق والاختصاص :

لما كان غرض الاخباريين والرواة يهدف الى تسليط الضوء على تراث الاجداد ، ولفت الانظار التي تسعفهم الى الاستدلال على تاريخ القبائل ، وتسوغ لهم المفاضلة بين الانساب والسلالات بالقياس الى الانتاج الشعري لكل من هذه القبائل والسلالات . فكان ذلك مما شجع على جمع الدواوين وتدوين الاخبار والسير . ويبدو ذلك في الجهود التي بذلها ـ على سبيل المثال ـ كل من أبي المنذر هشام بن محمد الملقب بابن الكلبي[١] المتوفي حوالي سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م ، وأبي عبيدة[٢] المتوفي حوالي سنة ٢١١هـ / ٨٢٥م ، وكذلك في المصنفات التي جمعها الهيثم بن عدي[٣] ٢٠٧هـ / ٨٢٢م، وهي تعرض صوراً حية عن تاريخ الادب الجاهلي وأخباراً ذات قيمة نقدية عن حياة الشعراء . وكذلك في الاختيارات التي ضمتها كتب ابي حسن علي بن محمد المدائني[٤] المتوفي حوالي سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م . وهي تضم نوادر وأخباراً معبرة عن حياة الشعراء . كما نلقى ذلك في مؤلفات ابي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي ٢٣٢هـ / ٨٤٦م ، وقد عرف عنه أنه دوّن أخباره بشيء من الدقة والعناية[٥] .

---

(١) الفهرست ٩٦ ـ ٩٨ دائرة المعارف الاسلامية مادة : الكلبي لبروكلمان م٢ ـ ص ٧٣٠ ـ تاريخ الأداب العربية لبروكلمان ١ /١٣٨ .

(٢) هو ابو عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي من اصل بدوي سكن الكوفة ودرس فيها توفي حوالي سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٦م .

(٣) الفهرست ٦٩ بروكلمان ١ ـ ١٧٩ .

(٤) طبقات الشعراء ص ٧٨ وما بعدها ..

(٥) الفهرست ٩٦ ـ ٩٨ ـ دائرة المعارف الاسلامية مادة : الكلبي لبروكلمان م٢ ـ ص ٧٣٠ ـ تاريخ الآداب العربية لبروكلمان ١/ ١٣٨ .

كـذلـك صنّف الاصمعي[٦] ٢١٦هـ /٨٣١م أو ٢١٥هـ / ٨٣٠م مختارات شعرية تنحو هذا النحو ، منها : « كتاب القصائد الست»[٢]، وهو مفقود ، ولعله شروح للمعلقات الست . كما صنّف ابو عبيدة[٣] ٢١١هـ / ٨٢٥م ، سبع قصائد[٤] : قصيدة لامرىء القيس ، واخرى لزهير ، وثالثة للنابغة ، ورابعة للاعشى ، وخامسة للبيد ، وسادسة لعمرو بن كلثوم ، وسابعة لطرفة بن العبد .

والواقع ان تحقيق الشعر القديم وتصنيفه تبعاً لمنهج نقدي نسبي قد رافق حركة توسع العلوم النحوية واللغوية في العراق ؛ فبعد جيل الرواة ، أمثال أبي عمرو بن العلاء ١٥٤هـ / ٧٧٠م ، وحماد (الرواية) ١٥٦هـ / ٧٧٢م ، وأبي عبد الرحمن المفضل الضبي ١٥٨هـ / ٧٧٤م ، وخلف الاحمر ١٨٠هـ / ٧٩٦م ، أقبل جيل من العلماء النحويين واللغويين ، فأسسوا مدرسة التدوين والانتقاء النقدي ، والتصنيف وفق نهج معين يقوم على الميل والاختصاص بموضوع أو مواضيع محددة كشاهد على دروس اللغة وعلم النحو ، أو علم الانساب والاخبار ، او علم التاريخ والتراجم ، وعلم التفسير والقرآن . لذلك أولوا تحقيق النصوص عناية

---

(١) افهرست ٥٣ ـ ٥٤ « اعتمد عليه ابن خلكان وياقوت » ، دائرة المعارف الاسلامية م١ ـ ١١٥ مقال غفل ـ بروكلمان ١/١٠٣ .

(٢) هو ابو عبيدة معمر بن المثني ولد حوالي ١١٠هـ / ٧٢٥م وتوفي حوالي سنة ٢١١هـ / ٨٢٥م من اصل اعجمي اشتهر بشعوبيته وهو الهيثم بن عدي الطائي ولد في الكوفة وتوفي في بغداد سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م الفهرست ٥٥ وفيه اسماء المصنفات عن ايام العرب ومناقبهم ومفاخرهم والامثال والمغامرات عن الشعراء الصعاليك ومثالب بعض القبائل .

(٣) الفهرست ١٠٣ ـ دائرة المعارف م ٣/٧٣ هو ابو حسن علي بن محمد المدائني ولد في البصرة وتوفي في بغداد ٢٢٥هـ / ٨٤٠م .

(٤) تاريخ الادب العربي ر. بلاشير الجزء الأول ص ١٣٨ .

خاصة فأعادوا النظر بالرواية للتأكد من صحة كل مروي وصدق كل راوٍ بالقدر الذي تسمح به المعطيات والظروف آنئذٍ . ثم أخذت تظهر على منتخباتهم ، ونشاطاتهم ، بوادر الاختصاص والتنوع .

ففي حين اتجه ابو عبيدة الى العناية بالأخبار والانساب ، دون ان يدع مسائل النحو واللغة ، انصرف أبو سعيد الاصمعي الى الاهتمام والاختصاص بمسائل اللغة والنحو وغريب الالفاظ والشعر البدوي[1] ، متوسلاً الشواهد من الشعر الجاهلي لتحقيق نصوصه اللغوية . من هنا نجد تفسيراً لجهوده في جمع المختارات من الشعر الجاهلي ، ووضعه التصانيف لها التي عرفت فيما بعد « بالاصمعيات »[2] ، و« والمجمهرات »[3] .

كذلك اقتفى اسحاق بن مراد الشيباني المعروف بأبي عمرو الكوفي[4] ، ٢١٣هـ / ٨٢٨م ، أثر الاصمعي في ميدان جمع الاخبار وانتخاب الاشعار .

أما ابو يوسف بن السكيت[5] المتوفي حوالي سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م ، فقد اشتهر بتحقيق الاخبار ، وتحقيق النصوص الشعرية واللغوية[6] .

---

(١) العمدة لابن رشيق ك٢/ص٨٤ : « قال الجاحظ : طلبت علم الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يحسن الا غريبه ، فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب فلم اظفر بما أردت الا عند ادباء الكتاب » .

(٢) و (٣) الفهرست ص ٥٥ و٥٦ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية م ٤/ ٢٨٠ مقالة المستشرق كرنو .

(٥) المرجع السابق نفسه م٢/ ٤٤٤ مقالة محمد بن شنب .

(٦) الفهرست ١٥٧ و١٥٨ وفيه ثبت بأسماء الكتب التي وضعها والدواوين التي جمعها .

واختص ابن حبيب[1] المتوفي حوالي سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م ، بجمع الدواوين ، وتحقيق الرواية[2]. وللعلامة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكرى ٢٧٥هـ / ٨٨٨م[3] ، اسهام كبير في نشاط هذا الجيل من العلماء ، إن في ميدان علم اللغة ، وان في علم الانساب ، وأيام العرب ، وكذلك في مجال جمع الدواوين الشعرية وتحقيق روايتها وتصحيحها[4] .

ومن كتب الاخبار والتراجم التي وضعها علماء هذه الحقبة : كتاب « اشعار القبائل »[5] ، للعالم اللغوي خالد بن كلثوم الكوفي[6] ، ودواوين القبائل لابي عمرو الشيباني[7] ، و« الشعراء الهذيليون »[8] ، وديوان « هذيل »[9] للسكري ، والرواية عن السكري عن محمد بن الحسن السري عن عبد الله بن ابراهيم الجمحي ، والقصائد مرتبة فيه حسب ترتيب (أيام العرب) وليس حسب ترتيب الشعراء[10]. كما صنّف المدائني كتاباً في أخبا الشعراء[11]. وكتاب « الشعراء » لأبي عبيدة[12]. كذلك وضع

---

(١) الفهرست ص ١٥٨ وفيه ثبت بالدواوين التي جمعها وتاريخ الأدب العربي، بروكلمان ج١/١٠٦ .

(٢) و(٣) الفهرست ص ١٥٧ ـ ١٥٨ وتاريخ الادب العربي الجزء الأول بلاشير ص ١٤٦ ودائرة المعارف ٤٣/٥٣٥ .

(٤) و(٥) الفهرست ص ٦٦ .

(٦)) الفهرست ص ٦ ـ ٤١ .

(٧) الفهرست ص ١٥٩ وياقوت ٨/٩٨ والفهرست ٧٨ (ثمانون ديوانا)

(٨) « لشعراء هذيل الشيباني »

(٩) الفهرست ١٥٩ ودائرة المعارف ، مادة هذيل .

(١٠) الهذيليون للرماني ١٨٩ و٢٠٣ و٢١٦ و٢٢٨

(١١) الفهرست ١٠٣

(١٢) الفهرست ٧٦

ابن حبيب كتاباً بأسماء من قتل من الشعراء »[1] .

٤ ـ مرحلة التصنيف « الطبقي » :

وضعت في هذه المرحلة مجموعة من المنتخبات تحت اسم[2] « **طبقات الشعراء** » « **الشعر والشعراء** »، **وهي من العناوين المألوفة عند علماء هذه الحقبة** ؛ ومنها « طبقات الشعراء » لمحمد بن دؤاد، هو أقدم من كتابي دعبل وابن المعتز[3] ، « طبقات الشعراء »[4] وضعه اسماعيل اليزيدي أو الزيادي ، وهو ما زال مفقوداً[5] . و« طبقات الشعراء »[6] لدعبل ابي جعفر الحسن بن علي الخزاعي الذي توفي ٢٢٠هـ / ٨٣٥م وهو ما زال مفقوداً، أيضاً .

ـ كتاب « فحولة الشعراء » للأصمعي ٢١٦هـ / ٨٣١م .

ـ « **طبقات الشعراء** »: **وهو اسم لعدد من المؤلفات بهذا العنوان** ، لعدد من علماء العراق في هذا العصر كأبي عبيدة[7] ، وعمر بن شبّة ، والخثعمي[8] ، والشعر والشعرا : وهو عنوان لكتاب ابن قتيبة ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م .

---

(١) الفهرست ص ١٠٩ ـ ١١٢ تاريخ الادب العربي ـ بروكلمان ج ١/٨٥ ط ٢ / ١٦٨

(٢) الفهرست ٥١ ـ ١٠٩ .

(٣) تاريخ الادب العربي الجزء الأول لريجيس بلاشير ص ١٧٤ .

(٤) الفهرست ١٦١٢ : ذكر ابن النديم لدعبل ديوان شعر وكتاب « طبقات الشعراء » .

(٥) معجم البلدان لياقوت ٢ / ٩٦١

(٦) الفهرست ٥٤ ـ وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ رقم ١٠٥ .

(٧) الفهرست ١٠٩ ـ ١١٢ .

(٨) الفهرست ١٤٨ و١٤٩ والفهرست ١٢٩ الشعر والشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ / ٨٨٩م .

وهذا الكتاب يتألف من مقدمة في ثلاثين صفحة تحدد إطار الشعر وتعريفه . بعد ذلك يعرض الكاتب مادة الكتاب ، ويقسمها الى عدة مقاطع ، يتألف كل مقطع من ترجمة قصيرة للشاعر متداخلة مع شواهد شعرية منتخبة ، وقد أتبع ابن قتيبة في كتابه الترتيب الزمني ، وشمل انتخابه شعراء منتصف القرن الثالث للهجرة ، التاسع للميلاد .

وهو كتاب تعليمي موجه إلى فئة اجتماعية ذات مستوى ثقافي محدود . وقيمة هذا الكتاب ، تنبع من كونه يتيح اجراء مقارنة بين النصوص الشعرية المعروضة في الكتاب ، كما تظهر ذوق صاحبه في انتقاء الشعر والشعراء .

ولكن كذلك لا يقع الباحث عن مفهوم محدد للنقد في كتاب « فحولة الشعراء »[1] للاصمعي ، على غرضه ، فهو يصادف احكاماً ذوقية عامة لا يدعمها تعليل او تحليل ، شأنها في ذلك شأن ما حملته لنا كتب التاريخ الأدبي من اخبار الرواة والشعراء والخلفاء والأمراء وتراجمهم ، واصحاب الذوق الادبي من العلماء في موقفهم من هذا البيت أو هذه القصيدة ، أو ذلك الشاعر . وهذا ما يمكن اعتباره تجوزاً بالنقد الجاهلي او الاسلامي أو الأموي ؛ فالاصمعي يقول في زهير مثلاً : « ما يصلح زهير ان كيون أجيراً للنابغة »[2] ، وإذا سئل الاصمعي : « أي الناس طراً أشعر ؟ قال : « النابغة » . قال : « أتقدم عليه أحداً ؟» ، قال : « لا ، ولا أدركت العلماء بالشعر يفضلون عليه احداً »[3] . **فالاصمعي لا يعرض مفهوماً محدداً للجودة ، وأين تكمن ؟ وبما تتمثل ؟ وكيف تتكون ؟ انه لا يعرض موقفاً معللاً يستند الى أدلة ، أو مقاييس فنية معينة.**

---

(١) للاصمعي ص ٢١٦ .
(٢) فحولة الشعراء ص ١٣ .
(٣) فحولة الشعراء ص ١٤ .

ـ لقد حاول الاصمعي ان يعرّف الشاعر « الفحل » ، فقال حين سأله تلميذه عن معنى « الفحل » قال : « ان له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق »[1] ،كما عمّم الاصمعي الجودة على شعر الشاعر واعتبرها تامة في كل شعره . فالشاعر مثل أعلى : « أوهم كلهم في الجودة امرؤ القيس . له الحظوة والسبق ، وكلهم أخذوا من اقواله واتبعوا مذاهبه »[2] إذن فامرؤ القيس « فحل» : إنه شاذ وخارق وهو حنذيذ لا يشق له غبار »[3] .

ـ [redacted]: وهذا المقياس شاع في مدرسة الكوفة فأخذ به الاصمعي ، حين قال : كان أهل الكوفة لا يقدمون على الأعشى أحداً . قال : وكان خلف لا يقدم عليه احداً . لأنه قال في كل عروض وركب في كل قافية[4] » . فالأوفق للمنطق ان الاعشى كان سهل الشعر ، لين التركيب ، رقيق الحواشي ، يميل الى التحضر ، وأن اهل الكوفة جاوروا الحواضر الفارسية وأختلطوا بالأعاجم ، جيرانهم ، فمالوا الى السهولة والرقة والحضارة وليونة العيش ورقة التعبير . ففضلوا الاعشى ، وقدموه على غيره . كذلك أصدر الأصمعي احكام غزارة الانتاج على عدد من الشعراء ، إلا أنه لم يعدل بينهم : « قلت : فالحويدرة ؟ قال : لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلاً »[5] . بينما يطالب أوس بن غلفاء الهجيمي بعشرين قصيدة[6] .

---

(١) فحولة الشعراء ص ١٥ .
(٢) فحولة الشعراء ص ٢١١ .
(٣) البيان والتبيين ح ٢/ ص ٤٠
(٤) فحولة الشعراء ص ٢١ .
(٥) فحولة الشعراء ص ٢٢ .
(٦) فحولة الشعراء ص.٢٨ .

ـ كذلك أتخذ الاصمعي من « الاخلاق الحميدة » قاعدة من قواعد النقد الأدبي ، اذ قال : « قلت فمزرد ؟ قال : ليس دون الشمّاخ ولكنه أفسد شعره بما يهجو به الناس »[1] . وجعل الاصمعي من المذهب الديني للشاعر اساساً لموقفه من شعر الشاعر ، فقد سلب الفحولة من السيد الحميري بسبب عقيدته ، اذ قال عنه : « قبّحه الله ما أسلكه بطريق الفحول لولا مذهبه »[2] . كما رفض الاحتجاج بشعر الكميت بن زيد والطرماح ورفض الاعتراف بفنهما الشعري : « الكميت بن زيد ليس بحجة لأنه مولّد وكذلك الطرماح »[3] ، إلا أن موقفه من الشعراء المولدين لا ينسحب على ذي الرمة ، حيث قال عنه : « ذو الرمة حجة لأنه بدوي ولكن ليس يشبه شعره شعر العرب »[4] .

وإذا كانت « البداوة » فضيلة ذي الرّمة عند الاصمعي . فأين هي من جرير والفرزدق وقد قضيا حياتهما في البصرة ودمشق والكوفة والحجاز ؟

ولقد ادرك الاصمعي ان من الشعر ما هو موضوع ومحمول على الشعراء ، حين قال عن مهلهل : « اكثر شعره محمول عليه »[5] . كذلك ادرك تأثر الشعراء بالمعاشرة اذ علل « النزعة الدينية » في شعر زهير باتصاله بأهل الكتاب من اليهود : « جامع زهير قوما من يهود فسمع بذكر المعاد . فقال : يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب او يعجل فينقم »[6] .

---

(١) فحولة الشعراء ص ٤١ .
(٢) فحولة الشعراء ص ٥٢ .
(٣) فحولة الشعراء ص ٣٤ .
(٤) فحولة الشعراء ٣٤ و٣٩ .
(٥) فحولة الشعراء ٣٥ .
(٦) فحولة الشعراء ١٧٠ .

٥ ـ نهج العلماء في الجمع والتدوين والتأليف :

والواقع ان علماء اللغة والنحو أخذوا يتتبعون كلام العرب ليستنبطوا منه قواعد النحو أو وجوه الاشتقاق ، أو الأوزان التي جرى الشعر عليها . ودفعهم هذا الاستنباط الى نقد الشعر من حيث مخالفته للاصول التي هَدَاهُمْ استقراؤهم اليها في اعراب أو وزن أو قافية. وليس من حيث عذوبته ، ورقته ، وجماله الفني ؛ فراحوا يستظهرون بعض ما وقع فيه شعراء الجاهلية من الخطأ في هذه النواحي . وكذلك ما وقع فيه بعض الشعراء المسلمين من الخطأ ايضاً[1] .

إلا أن نشاط اولئك المتقدمين من العلماء لم يقتصر ، في النقد ، على تلك النظريات المتصلة بنواحي ثقافتهم اللغوية ، وقد نجد من بينهم الادباء الذين يستحسنون ابياتاً في معنى خاص ، أو يستجيدون مطلع قصيدة ، أو قصيدة بعينها ، يقارنون بين شعر وشعر . وفي ضوء رواية الشعر الجاهلي لاحظوا توازناً في المستوى بين الثلاثة الأمويين (**جرير ، والفرزدق والاخطل**) وبين ثلاثة جاهليين هم **الاعشى ويشبهونه بجرير ، وزهير ويشبه بالفرزدق ، والنابغة ويشبه بالأخطل** . وبذلك عدّوا هؤلاء الجاهليين الثلاثة من الفحول المتفوقين : كما عدّوا بازائهم الثلاثة من الأمويين ، من الفحول ايضاً . ولكنهم أجمعوا على امام لهم جميعاً ، ليس له نظير بين الثلاثة الاسلاميين ، وهو امرؤ القيس ، أشعر الشعراء على الاطلاق ، بإجماعهم عليه . **موضع الاساس الأول لطبقات الشعراء ، فكان هؤلاء الأربعة واولئك الثلاثة الطبقة الأولى من الجاهليين والاسلاميين على السواء**[2] .

---

(١) فحولة الشعراء ١٣ ـ ٢٧ ، الموشح ص ١٥٦ ـ ١٦٦ وص ٥١ ونزهة الالباء للأنباري ص ١٨ ـ ١٩ .

(٢) فحولة الشعراء ص ٢٩ و٦٢و٦٣ ،والاغاني ٧/ ص ٩١ ـ ٩٢ و١٠٩ ـ ١١٠

كذلك أدركوا أن الأغراض المطروقة بتخصيص هي النسب والفخر والمديح والهجاء : النسيب لأنه أحسن اغراض الشعر تصويراً لخوالج النفس ، ونوازع الفؤاد ، فضلاً عن صلاحيته للغناء والطرب . والأغراض الثلاثة الأخرى (المديح والهجاء والرثاء) لأنها خير مصور لحياة العرب الاجتماعية من عصبية وصراع ، وعرفوا من الأساليب : إن السهولة جودة ، وان الجزالة جودة ، ولكنهما لا يجتمعان في غرض واحد؛ بل لكل منهما موقف ومجال .

كما عرفوا ايضاً تخصص الشعراء بمواضيع بعينها : فقد عرف يونس بن حبيب ان امرأ القيس وعبيد الأبرص ، وأوس بن حجر ، وعبد بني الحسحاس ، وذا الرمة ، كانوا يحسنون وصف المطر . كما عرف ابو عبيدة ان طفيلاً الغنوي ، والنابغة الجعدي ، وأبا دؤاد الايادي ، أعلم العرب بالخيل وأوصفهم لها[1] . كذلك أدرك الأصمعي من أختص بغرض من اغراض الشعر فأجاده ، حيث قال : « ذهب أميّة بن أبي الصلت بعامة ذكر الآخرة ، وعنترة العبسي بعامة ذكر الحرب ، وعمر بن ابي ربيعة بعامة ذكر الشباب »[2] . ولم يرضوا ان يجعلوا المقلّين لو أجادوا في درجة المكثرين[3] .

لقد كشف علماء هذا العصر عن عنصر هام من عناصر النقد ، ولو على المستوى التمهيدي وهو كثرة الانتاج؛ وإن اتفقوا على مقياس الكثرة بأنه كثرة القصائد وطولها وكثرة الفنون التي تعرض لها . إلا أنهم اختلفوا فيما عسى أن يكون مقياس الجودة

---

(١) فحولة الشعراء ص ٨٦ ـ ٨٧ والموشح ص ٢٨٧ .

(٢) فحولة الشعراء ص ٨٧ .

(٣) فحولة الشعراء ص ٥٤ ـ ٦٠ .

ولما كانت مقومات نقدهم تقوم على الذوق والمزاج والحكم الذاتي ، إتسعت شقة الخلاف بينهم ، حول مفهوم الجودة الفنية ومقوماتها ، لاختلافهم في الأذواق ، والأمزجة والخواطر ، والمنطلقات الذاتية . لهذا لم يكن غريباً أن يختلفوا في تقدير الشاعر من حيث إحلاله في طبقة من الطبقات ، وكذلك من حيث ترتيبه بين أقرانه في الطبقة الواحدة .

فناقد ذلك الزمن كان يعجب بالشعر الذي يرى نفسه مصورة فيه : فيونس بن حبيب فرزدقي يؤثر الفرزدق على جرير ، والمفضل الضبي يقدم الفرزدق على جرير تقدمة شديدة ، وأهل الكوفة يؤثرون الأعشي على من في طبقته ، وأهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والنابغة ، في حين كان علماء البصرة يقدمون أمرأ القيس بن حجر . وأهل المدينة يفضلون النسيب من بين الأغراض الشعرية عامة .

فيونس بن حبيب كان نحوياً يحرص على التراكيب ونظم الكلام ؛ وشعر الفرزدق يرضي النحاة بما فيه من تقديم وتأخير ومداخلة ، ويمدهم بكثير من الأمثلة والشواهد[1] . وكان المفضل الضبي يميل إلى الشعر الجزل ، وإلى الغريب من الألفاظ ، والمتماسك القوي من التراكيب ؛ كما يستدل ذلك من « المفضليات » ، وهذا يتحقق في شعر الفرزدق .

وتقديم أهل الكوفة للأعشى على غيره من الشعراء ينبع من كون شعره يلائم أهواءهم ومزاجهم الرقيق ؛ فالتحضر في شعر الأعشي أكثر منه في شعر أصحابه ، والأغراض التي خاض فيها ، تتصل كثيراً باللهو ، وعبارته لينة ، وبحور شعره موسيقية سهلة الغناء . وهذا ما يوافق طبع الكوفيين ، ويلائم أذواقهم ؛ فقد عاشوا على مقربة من موطن حضارات

(١) فحولة الشعراء ص ٣٢ - ٤٠ .

قديمة ، أخصها حضارة الفرس . وكثير منهم يرى في شعر الأعشي لذته ومتعته .

وتفضيل أهل البادية زهيراً أو ذا الرمة يعود إلى أن زهيراً لم ير غير البادية ، ولم يتقلب في البلاد تقلب الأعشى ؛ فهو في الصياغة ، وفي المعاني ، وفي الأغراض الشعرية ، وفي الحركة الذهنية شاعر بدوي يرضي أهل البادية ، ويتمثل في شعره ذوقهم ومزاجهم .

ولعل الذي حمل أهل البصرة على تقديم امرىء القيس وتفضيله على الشعراء عامة ما إنفرد به من المعاني ، وصلاح شعره في مجال الاحتجاج في اللغة والنحو . وقد يكون الذي حمل أهل المدينة على إيثار النسيب ذيوع الغناء بها وحاجة المغنين للأصوات .

ومع ذلك ، فقد تلاقت أذواقهم في كثير من الأمور ، وذلك أنهم ميزّوا «الطبقات» ، وإن إختلفوا في ترتيب شعراء كل طبقة ، وعرفوا لكل شاعر مميزات يفضل بها غيره من شعراء طبقته ودوّنوا قضايا عامة يقوم عليها التحاكم في المباني والمعاني والصياغات . وقد خلصوا من ذلك كله إلى عناصر أساسية أربعة :

١ ـ الكثرة والجودة .

٢ ـ صلة الشعر بالبيئة الحسية التي تحيط بالشاعر ، وما عسى أن يكون قد توفر لبعضها من سلامة ونقاء تضفي على الشعر صحة وجودة أو خالط بعضها من عجمة وفساد تهجن الشعر وتطعن في سلامته .

٣ ـ صلة الشعر بالبيئة المعنوية أو الاجتماعية ؛ والذي لحظه الأصمعي من أن شعر حسان بن ثابت في الجاهلية أقوى منه في الاسلام ، شيء منه[1] .

---

(١) فحولة الشعراء ص ٢٠ ـ ٢٢ .

٤ ـ الصلة التاريخية : وقد حملهم على التفكير في هذا المجال ، ما شاع من وضع الشعر ونسبته إلى غير قائليه ، فأدركوا ما أصاب الشعر على لسان بعض الرواة ، الذين نحلوا الشعر وحملوه على الشعراء ، من أمثال خلف الأحمر من البصريين ، وحماد الراوية من الكوفيين[1] .

ويظهر أن أبا عبيدة ، والأصمعي ، وأبا زيد الأنصاري ٢١٥ هـ/ ٨٣٥ م، وابن سلام . . إعتمدوا في جمع أخبارهم وتراجمهم على ما تناهى إليهم من أخبار أبي عمرو بن العلاء ، واعتمدوا أيضاً على اخبار إبن الكلبي الذي استند في مروياته على حماد (الراوية). كما استقى من حماد كل من ابن كناسة الكوفي ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م والهيثم بن عديّ ٢٠٧ هـ/٨٢٢ م، والمدائني ٢٢٥ هـ/ ٨٤٠ م. كذلك أخذ غالبيتهم من روايات خلف بشكل مباشر أو غير مباشر[2]. والمعروف أن خلف الأحمر تولى نقل « محفوظات حماد ».

وهكذا يكون كل من أبي عمرو بن العلاء ١٤٥ هـ/ ٧٧٠ م وابن الكلبي ١٤٦ هـ / ٧٦٣ م، وعوانة بن الحكم بن عياض المتوفي حوالي سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م[3] ، أساتذة موثوقين لجماعة علماء هذا الزمان ـ زمن الأصمعي وأبي عبيدة . . .

كذلك يلاحظ أن كثيراً من علماء البصرة ، ومن بينهم ابن سلام كانوا يثقون بعلم خلف الأحمر في الشعر ويصدقون روايته للشعر ولاخبار الشعراء . في حين أثيرت الشكوك حول رواية حماد . وكذلك وجهت

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ص١٦، والعقد الفريد ج ٣ ص ١٦٧ .
(٢) نزهة الألباء ص ٨١ (وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية لأنه كان قد أكد الأخذ عنه . .) المزهر ٢/٢٥٢ .
(٣) الفهرست ٩١ وياقوت في المعجم . ج ٦/٩٣ و ١٦/١٣٤ .

انتقادات كثيرة ، من غيرهم ، إلى رواية خلف الأحمر .

فالشكوك التي اكتنفت الرواية جعلت علماء هذا الزمن (أواسط الثاني حتى الثالث للهجرة) يتجهون إلى إعادة النظر في الرواية والرواة ، ويولون تحقيق النصوص عنايتهم الخاصة . فلجأوا ، غالباً ، إلى التحقيقات الشخصية عن طريق الاحتكاك المباشر بالاعراب ومشافهتهم في غريب اللغة والاخبار . كذلك حرصوا على التشدد في الجمع والتدوين ، كما حرصوا على إنتقاء الرواة ممن وجدوهم موضع ثقتهم من المخبرين الاعراب من تميم وأسد وكلب وكلاب[1] . وقد عرف هؤلاء الرواة الجدد والمخبرين بـ « فصحاء العرب » يجمعون أخبارهم من البادية ، وينقلونها إلى العلماء في الحواضر ـ بغداد والبصرة والكوفة ـ .

ويبدو أن الاعراب المخبرين كانوا يستغلون شغف العلماء بغريب اللغة وغريب الشعر وغريب الاخبار فيفتعلونها إرضاء لشغف العلماء بها ، ولتكبر منزلتهم عندهم ؛ مما دفع العلماء المحققين إلى انتهاج منهج في نقد الاخبار يقوم على المقارنة بين روايات الخبر الواحد في الموضوع الواحد من مصادر متعددة ، وعلى محاكمة شهادات المخبرين . وغالباً ما كانوا يخضعون المخبرين للاستجواب الدقيق[2] . كما كانوا يدونون هذه الأخبار ويخضعونها للفحص والتحقيق[3] .

وكان للخصومات بين العلماء دور إيجابي يحض على التدقيق والحيطة في نقل الاخبار والتحقق من المرويات قبل تدوينها ؛ إذ دفعت المنافسة بين

---

(١) نزهة الألباء ص ٦٩ والمزهر المجلد ٣ الجزء الثاني ص ٣٦٤ : « اختلف الأصمعي والمفضل على كلمة فاحتكما إلى غلام من بني أسد » .

(٢) المزهر م ٣ ج ١ ص ١٨٠ وج ٢/٣٣٧ و ٢/٢٧٨ ـ والفهرست ص ٤٦ .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٤/١٥٣ : « وكان الفراء يكتب في الدفاتر . . » .

العلماء إلى الحذر من إنتقاد الخصوم[1] . وبذلك تمخضت جهود علماء القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد عن تنقية الاخبار والتراجم . وحظيت بقدر من الترتيب والنقد عندما فرض هؤلاء العلماء على أنفسهم منهجاً نسبياً في تحقيق النصوص ونقد الرواية[2] .

كذلك قام منهج علماء هذا الزمن على مبدأ الاجماع : فأجماع الرواة والاخباريين على صدق خبر من الأخبار أو صحة نسبة قصيدة من القصائد إلى شاعر من الشعراء ، أو سيرة من السير . . كان كافياً لادخال هذه الرواية أو الخبر أو السيرة أو القصيدة في حيز المثبت الأصيل . فالاحتكام إلى رأي « أهل الجماعة » كان المصداق الأول . وأي رواية أو خبر أو لغة تبقى عرضة للتجريح والشك إذا لم يتهيأ لها إجماع أهل الجماعة[3] من العلماء والرواة .

وهكذا حذا العلماء بالشعر واللغة حذو علماء الحديث والفقه ، فأخذوا بمبدأ الاجماع على الرواية في الشعر كإجماع المحدثين على الحديث[4] .

---

(١) تاريخ الأدب العربي الجزء الأول . . . بلاشير ص ١٤٨ : « إن طريق جمع معطيات التاريخ والتراجم والشعر الجاهلي قد إكتسبت تشدداً ملحوظاً في بحر القرن الثالث للهجرة » .

(٢) معجم الأدباء لياقوت ج ٢ / ٢٣٦ : « أجاب أبو عمرو الشيباني يونس بن حبيب عندما سأله عن سبب قلة ما بين يديه من كتب ، قائلاً : أهذا علمك ؟ فأجاب الشيباني : « أنه من صوت كثير » .

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٠ : « وقد إختلف العلماء بصدق بعض الشعر كما اختلفوا في سائر الأشياء . فأما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه . . » .

(٤) طبقات الشعراء ص ١٦ .

إلا أن علماء الشعر والاخبار والتراجم تساهلوا مع رواتهم ولم يتشددوا معهم تشدد علماء الحديث مع رواتهم .

كذلك تفاوتت مواقف العلماء من رواتهم ، فعلماء الكوفة تساهلوا مع حملة الاخبار من الاعراب ، في حين كان علماء البصرة يتشددون مع رواتهم فلا يقبلون الرواية إلا بعد التحقيق والفحص[1] .

وبالرغم من قولهم بنظرية الاجماع على الرواية ، فإن الغالبية منهم لم تمحض ثقتها إلا القليل من العلماء أمثال أبي عبيدة والأصمعي[2] . . . ومع ذلك ، فإن البعض منهم روى عن حماد (الراوية) وخلف الاحمر « والوضاع» شرقي بن القطامي »[3] .

وإن كان لم يتهيأ لهذا الجيل من العلماء حسم مسألتين جوهريتين بشكل كامل : مسألة تحقيق النصوص ، ومسألة نسبتها لأصحابها الحقيقيين من الشعراء ، فإنهم ولا شك قد تمكنوا من التمييز بين الأصيل والمنحول من الشعر ، كما تمكنوا من حفظ ما نُقِلَ إليهم بصورة سليمة من الشعر الجاهلي .

* * * * *
* * *
*

---

(١) المزهر ج ٢/ ٤١٠ و ٤١١ : « كان أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين وأهل البصرة يمتنعون عن الأخذ منهم لأنهم لا يرون الاعراب الذين يحكون ، عنهم حجة . كما أن البصريين لا يثقون بروايات الاعراب التي أخذها ابن الاعرابي » .

(٢) الأغاني ج ٣/ ٢٧١ : مثال على ذلك أبو عبيدة .

(٣) الأغاني ج ٤/ ٦٢ و ٤/ ١٣ : « وكان معاصراً للخليفة المنصور » وكان كذّاباً ، والفهرست ٩٠ ، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٧٨ .

الباب الرّابع

كتاب "طبقات الشعراء" لإبن سلام

قامت شهرة ابن سلام ، أساساً ، على كتابه « طبقات الشعراء » بالرغم من التعقيدات التي أصابته بسبب ظروف النقل السيئة التي مرّ بها . فإذا إعتبرنا أن محمد بن سلاّم الجمحي هو واضع « الكتاب » في الأصل ، فإن محتواه قد نقل شفهياً ، وإنه يكون ، قد حوّر ، أو ضاعت منه بعض أجزائه ، نظراً لكون راوي الكتاب كفيفاً[1] ، أو نتيجة لخطأ النسّاخ ، سيما وأن الكتاب وضع كتابة ، بعد عشرات السنين من موت مؤلفه الحقيقي[2].

١" ـ طبع الكتاب :

نشر « طبقات الشعراء » لأول مرة في « لايدن » سنة ١٩١٣ -

---

(١) طبقات الحنابلة ج ١/٢٤٩ ، ومعجم الأدباء ج ٦/١٣٤ : كان أبو خليفة الفضل بن الحباب أعمى وقد توفي حوالي سنة ٣٠٥ هـ/٩١٩م.

(٢) مقدمة يوسف « هيل » على « طبقات الشعراء ص ٤ و ٥ و ٦ : طبقات الشعراء ط . هيل م. بريل : ١٩١٣ ـ ١٩١٦ : طبعت هذا الكتاب عن نسختين مع كتاب شيخ العربية م . الشنقيطي . الاولى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٦ ـ أدب ش كتبت سنة ١٣٠٣ هـ ، والثانية ١٣١٠ هـ.

١٩١٦ م بمطبعة « بريل » ، وقد تولى نشره يوسف « هل »، وقدّم له بمقدمة تناول فيها المشاكل التي واجهته ، أثناء جمع الكتاب ، وطبعه[1] ، وذكر فيها أنه طبع هذه النسخة عن نسختين من كتب شيخ العربية محمد محمود الشنقيطي : الأولى محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٣٦ ـ أدب ـ ش ، كتبت في سنة ١٣٠٣ هجرية ، نقلاً عن نسخة بمكتبة شيخ الاسلام عارف بك بالمدينة المنورة ، والأخرى منقولة عنها ، أيضاً ، وكتبت في سنة ١٣١٠ من الهجرة ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٣٧ ـ أدب ـ ش .

٢" ـ نسبة الكتاب :

بدأ ناشر ، الكتاب ، الاول ، مقدمته بالتساؤل عن نسبة هذا الكتاب إلى ابن سلاّم ، وعن صحة نصه ، مستدركاً أن كتب الأدب نقلت عنه أخباراً لم يجد لها ذكراً في « الطبقات » : ـ منها ما رواه أبو الفرج في الأغاني[2]. ، حين ذكر دريد بن الصِّمة فقال : « وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفرسان » .

ـ وما رواه أبو الفرج أيضاً في الأغاني حين ذكر خفاف بن ندبة فقال : « وجعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الفرسان ، مع مالك إبن نويرة . . »[3] .

ثم قال : إن أبا عبيدة ألّف ، هو أيضاً ، كتاباً بأسم « طبقات الشعراء »، كما أن أبا حسان الزيادي وأبا خليفة الجمحي

---

(١) طبقات الشعراء ط . الأولى سنة ١٩١٦ ـ م . بريل ـ ليدن ـ المقدمة ص ٤ و ٥ و ٦ وما بعدها .

(٢) الأغاني ج ٩ ص ٢ ط . ساسي .

(٣) الأغاني ج ١٦/١٣٤ ط. ساسي .

٣٠٥ هـ/ ٩١٩ م ، كلاهما قد ألّف كتاباً بأسم « طبقات الشعراء » ، كما ورد في الفهرست[١] .

أما أبو عبيدة ، فقد روى عنه إبن سلاّم في (طبقاته) في سبعة مواضع . وأما أبو حسان الزيادي فهو أحد من روى عن ابن سلام . وأما أبو خليفة ، فيدل نص « الكتاب » على أنه راوية ابن سلام . فلذلك رأى الناشر ، أنه من العسير أن يحدد إلى أي مدى يستطيع أن ينسب هذا « الكتاب » إلى ابن سلام . وإلى أي مدى يعد أبو خليفة راوية « للكتاب » ، فحسب ؛ وإلى أي مدى تصرف فيه أبو خليفة حتى جاء على الصورة التي هو عليها[٢] .

٣" ـ صحة النص :

ثم علّق الناشر قائلاً : إن الكتب العربية القديمة مفككة . . فالكتاب الواحد يذكر في الفهرست[٣] على أنه كتابان منفصلان . وهذا شأن « طبقات الشعراء الجاهليين » و « طبقات الشعراء الاسلاميين » لابن سلام ، رواها في ما بعد راوٍ متأخر هو أبو خليفة الجمحي .

ثم أتخذ هِلْ ، من كتاب « فحولة الشعراء » للأصمعي ، مثلاً : فابن دريد هو راوية الكتاب ، وأبو حاتم السجستاني هو محرر الكتاب ، والأصمعي هو مصدر الكتاب . وكذلك شأن كتاب « طبقات الشعراء » فأبو ظاهر محمد بن أحمد بن عبدالله بن نصر بن بجير القاضي هو راوية الكتاب[٤] ، وأبو خليفة الجمحي هو « محرر » الكتاب ، وابن سلام هو

---

(١) الفهرست لابن النديم ٧٤ و ١١٤ ـ تحقيق فلوجل ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ .
(٢) المقدمة على « طبقات الشعراء » ص ٩ ـ ١٢ .
(٣) الفهرست لابن النديم ص ١١٣ تحقيق فلوجل ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ .
(٤) طبعة هل ١٩١٦ .

مصدر الكتاب . ويعلق الناشر على ذلك قائلاً : انه من البيّن أن نصيب ابن سلام في هذا الكتاب ، أعظم من نصيب الأصمعي في كتاب « فحولة الشعراء .

بعد ذلك قارن « هل » بين « طبقات الشعراء » لابن سلام وبين « فحولة الشعراء » للأصمعي وأظهر عمل ابن سلام في كتابه وعمل الأصمعي في كتابه ، بكلام مختصر ، يفيد أن عمل ابن سلام أمثل من عمل الأصمعي وأبين .

ثم علّق « هل » على ما ورد ذكره في الفهرست[1] ، وهو نسبة كتابين لابن سلام هما « طبقات الشعراء الجاهليين » و « طبقات الشعراء الاسلاميين »، قائلاً : إن « نصنا » يدل على أنهما كتاب واحد ، له مقدمة واحدة[2] .

وأخيراً قال : إن « كتابنا » هذا ليس فيه ذكر « كتاب فحول الشعراء » أو « فرسان الشعراء » ، ومن الجائز أن يكون كتاب « فرسان الشعراء » قد اندمج في كتاب « الفرسان »[3] لأبي خليفة الجمحي وقد ضاع كتاب أبي خليفة .

هذا وقد كانت هذه الطبعة الأوروبية أساساً لطبعة مصرية صدرت سنة ١٩٢٠ م نشرها حامد عجانُ الحديد الكتبي عن مطبعة السعادة ؛ بعد أن قارنها بالمخطوطتين المذكورتين ، ثم طبع الكتاب بعد ذلك طبعات تجارية[4] .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١١٣ .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ١١٤ تحقيق فلوجل.
(٣) مقدمة « هل » على « طبقات الشعراء » ص ١٩ وما بعدها .
(٤) الموسوعة الفرنسية ـ المجلد الثالث ـ دراسة ش . ليللوت ص ٩٥٣.

٤" ـ طبعة محمود شاكر :

وأخيراً أصدر محمود محمد شاكر ، في القاهرة ، طبعة جديدة سنة ١٩٥٢ ، عن دار المعارف للطباعة والنشر ، تحت اسم جديد « طبقات فحول الشعراء » ، جعل إسنادها إلى « رجلين جليلين »، كما يقول في المقدمة[1] على الكتاب :

١" ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانيّ اللخمي الذي ولد في طبرية الشام سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م، وتوفي بأصبهان ، في ذي القعدة سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٤ م[2] . وروى عن أبي الفضل الجمحي .

٢" ـ أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد بن أسيد ، وهو من محدثيّ اصبهان وتوفي سنة ٣٣٦ هـ / ٩٥٠ م.

وبعد أن قارن الناشر ، شاكر ، بين إسناده ، وبين إسناد يوسف « هل »: (أبو محمد عبدالغني بن سعيد الأزدي المصري ٤٠٩ هـ/ ١٠٢٣ م، وشيخه أبو طاهر بن أحمد بن أسامة الذهلي ٣٦٧ هـ/ ٩٨١ م الذي روى عن أبي خليفة الفضل بن الحباب الجمحي[3] ، قام بنقد دقيق لاستنتاجات « هل » واجتهد بحل الصعوبات التي يثيرها ترتيب الكتاب ، وعدّد مصادره ، وأورد اسم سبعين حجة ، وبحث عن الاستشهادات التي أخذها منه المؤلفون الذين أتوا بعد ابن سلام كأبي الفرج

---

(١) طبقات فحول الشعراء نشر محمود شاكر ـ دار المعارف للطباعة والنشر ٩٥٢ م ـ المقدمة ص ٩.

(٢) تاريخ بغداد م ٣ ص ٢١٧ ـ ط . الاولى . ط. بالقاهرة ٩٣١ م، وفيات الأعيان م ١ ص ٢٦٩ .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي م ١ ـ ص ٣١٣.

الاصفهاني[1] والمرزباني ، في « الموشح » عن ابراهيم بن شهاب[2] وأبي القاسم الزجاجي في « الأمالي »[3].

وبعد ذلك ، يعرّف ، محمود شاكر ، براوي « طبقات الشعراء »، عن ابن سلام : أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ، « وهو راوية للأخبار والأشعار والانساب ، وهو مسند عصره في الحديث بالبصرة . . وكان ثقة عالماً ، روى عن الأئمة الكبار ، كأبي الوليد الطيالسي ، وأحمد بن حنبل . وولي قضاء البصرة»[4]. وذلك بهدف الرد على « هل »، ودفع شكوكه التي أثارها حول راوي الكتاب .

ثم يعرض لترجمة ابن سلام ، فيذكر أنه « سمع شيوخ العلم والحديث والأدب ، وسمع منه شيوخ العلم والحديث والأدب . . .[5] .

٥" ـ وحدة الكتاب وصحة نسبته ونصه :

وانتقل شاكر إلى دحض شكوك « هل » ، حول وحدة الكتاب ، وإيضاحه ما ورد في الفهرست لابن النديم حول كتابين في الطبقات لابن

---

(١) الأغاني ج ٢/ص ٢ و ٩ ـ وج ٩/ص ٢ ، وج ١٦/ ص ١٣٤ (ط. ساسي) وج ٩/ ص ١٦٠ ط. دار الكتب و ١٢٨/١١ ساسي و ١٣٣ و ٣٨/١٢ ساسي و ١١/ ١٦٥ و ٨٤/١٩ ساسي ، و ١٢٢/٢١ ساسي وج ٤/ ٢٣٣ دار الكتب وج ٢٨٢/٨ دار الكتب و ٤/٩ و ٢٣/١١ ساسي و ١٤٦/١١ و ٣٠٧/٩ دار الكتب و ٢٦٢/٢ د.ك و ٣/١٠ دار الكتب و ٢٤٦/٨ دار الكتب و ٣٩/١٤ و ١٢٥ ساسي و ١٢١/١١ ساسي و ١٢/٥ د.ك و ١٥٨/٢ . . .

(٢) تاريخ بغداد ١٦٧/٦ .

(٣) طبعة شاكر، المقدمة ص ٣١ .

(٤) و(٥)طبقات فحول الشعراء ـ المقدمة ص ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ نشر شاكر ١٩٥٢ ـ دار المعارف بمصر .

سلاّم ، بأن ذلك يدل على أنهما مجرد بابين في كتاب واحد ، وذلك أن العرب القدامى درجوا على اعتبار كل باب من كتاب ، يشكل كتاباً في موضوعه ، متخذاً من كتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة ٢٧٦ هـ / ٨٩٠ م دليلاً على صحة رأيه[١] .

ثم يرد على شك « هل » في صحة نسبة الكتاب إلى ابن سلاّم ؛ بأن اشتراك أبو حسان الزيادي ، ودعبل وأبو خليفة وأبو عبيدة . . . وابن سلام في تسمية كتاب ، لا يدل على اختلاط هذه الكتب ببعضها ، ولا يدل على وقوع أبي الفرج في الخلط بين الكتب ، وفي الرواية عنها : فأبو الفرج نقل عن كتب مشتركة الأسماء ، ولكنه « فصل بينها فصلاً صحيحاً لأن اعتماده كان على الاسناد ، لا على كتاب غفل من إسناده »[٢] .

ثم يؤكد ، في الرد على « هل » أن أبا خليفة لم يغير في نص ابن سلام قط ولم يتصرف في النص الذي يرويه عن خاله محمد بن سلام أي تصرف .

بعد ذلك يتفق مع « هل » في أن ما ورد ، في المطبوعة الأوروبية[٣] ، والمصرية[٤] من عبارة « فاقتصرنا في هذه على فحول الشعراء الاسلاميين ، للاستغناء عن فحول شعراء الجاهليين **بطبقاتي المؤلفة في ذلك** » . بأنها مقحمة[٥] من الناسخ وهي ضعيفة البيان[٦] .

أما عن حكم « هلْ » بالفوضى على نهج ابن سلاّم في تأليف

(١ و٢) طبقات فحول الشعراء ـ المقدمة ص ١٧ و١٨ . نشر شاكر ١٩٥٢ ـ دار المعارف بمصر .
(٣) ص ١٠ من طبقات الشعراء المطبوعة الأوروبية .
(٤) طبقات الشعراء ص ١٦ المطبوعة المصرية .
(٥) مستدرك « هل » على الطبقات ص ١٩ / مقدمة « هل » على الكتاب .
(٦) مقدمة شاكر على طبقات فحول الشعراء ص ١٩ .

الكتـاب ، فيـرد شـاكـر تلك الفـوضى ، في تـرتيب النسخـة الأوروبيـة والمصـرية ، إلى عجلة النـاسخ في ظنـه أن الكـلام مقتصـر عـلى طبقـات الاسلاميين والمخضرمين ؛ فأبدل وأقحم كلاماً من عند نفسه ؛ فـظهر ذلـك وكـأنّ المؤلف استبـدل طبقـة أصحـاب المـراثي ، وطبقـة شعـراء القـرى العربية ، وطبقة شعراء يهـود ، بالمخضـرمين . علماً أن ابن سـلام نهج في طبقاته على أن يعد المخضـرمين في الجـاهليين تـارة ، وفي الاسلاميين تارة أخـرى ، فابن سـلاّم ، لم يفصل بـين جاهـلي ومخضرم ، ولا هـو وعد في مقدمته على كتباه بذلك[1] .

وأخيراً ، وبعد أن يؤيد شاكر نهج ابن سلام في ترتيب الطبقـات ، وإلغائه « طبقة المخضرمين » وإدماجها في طبقة الشعر ؛ ينتقل إلى جمع كل ما ذكره « أبو الفرج الأصفهاني في « الأغاني » مسنداً عن أبي خليفة إلى ابن سلام من استشهادات ، فبلغت عدتها أربعة وخمسين إسناداً[2] .

٦" ـ إضافات شاكر على الكتاب :

وعندما أدرك ، محمود شاكر ، أن المطبوعة (الأوروبيـة والمصريـة) مختصـرة أو ناقصـة ، استباح لنفسـه أن ينقل أخبـار أبي الفرج هـذه ، إلى مطبوعته الجديدة ، ليكمل بهـا ما ضـاع من مخطوطتـه . وكذلـك نقل إلى مطبوعته ما رواه المرزباني في الموشح عن إبراهيم بن شهاب عن أبي خليفـة عن ابن سلام ، كما نقل ما رآه شبهاً « بأن يكون من كتاب ابن سلام »[3] من « أمالي » أبي القاسم الزجاجي .

٧" ـ تصرفه بإسم الكتاب وتبريره ذلك :

أما عن تصرفه بإسم الكتاب ، فيذكر أنه عدل عن التسمية المتـداولة

(١ و٢ و٣) طبقات فحول الشعراء ـ نشر شاكر ـ المقدمة ص ٢١ و٢٨ و٣٢ .

المعروفة « طبقات الشعراء » إلى اسم « طبقات فحول الشعراء » ؛ معللاً ذلك بالأسباب التالية :

١" ـ لأن ابن سلام لم يستوف فيه ذكر « الشعراء » بل كل ما ذكره هو مئة وأربعة عشر شاعراً .

٢" ـ لأن ابن سلام قال في طبقاته[١] : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً . . » .

٣" ـ لأن أبا الفرج الأصفهاني ذكر هذه الكلمة في موضعين من كتابه[٢] .

٤" ـ لأنه رأى على نسخته التي نقلها بيده ، هذا العنوان « طبقات فحول الشعراء » وهو لم يعد يذكر أنقلها عن النسخةالأم أم أنه كتبها من عنده ؟ وهو يرجح الرأي الأول ، لأنه كان بعد صغيراً ، لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره[٣] .

٨" ـ عرض موضوعات « طبقات فحول الشعراء » نشر محمود محمد شاكر :

يقع المطبوع في سبعمئة وتسع عشرة صفحة ، عدا المقدمة التي وضعها الناشر :

---

(١) طبقات الشعراء ص٢٢ .

(٢) الأغاني ج ١٢ ص ١٨ ساسي : في ترجمة المخبل السعدي حيث يقول : « ذكره ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء » وفي ترجمة عبيد بن الأبرص ج ١٩ / ٨٤ ساسي « إذ يقول : « وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية » .

(٣) طبقات فحول الشعراء ـ نشر شاكر، المقدمة ص٣٥.

أ ـ مقدمة الناشر وتقع بين الصفحة الخامسة والصفحة السادسة والثلاثين .

ب ـ مقدمة المؤلف التي أنهج عليها الكتاب ، وتقع بين الصفحة الخامسة من الكتاب والصفحة الثانية والأربعين ؛ وهي تبدأ بـ : « بسم الله الرحمن الرحيم » ـ (وفيها كلامه عن الشعر ، وطبقات الرواة) .

(ـ الصفحة الخامسة) ١ ـ [. . . . وأخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، قال : قرىء عليّ الفضل بن الحباب وأنا أسمع . . . أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد بن أسيد ، قال : قرىء عليّ القاضي . . . الجمحي أبو خليفة ، قال محمد بن سلام الجمحي : ٢ ـ ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها ، إذ كان [لا يحاط] بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها ، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب ؛ فبدأنا بالشعر[1] . ٣ ـ وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ، ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ، ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسيب مستظرف . وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد ـ إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال [شيء منه] ـ أن يقبل من صحيفة ولا يروي عن صحفي . وقد اختلفت العلماء في بعض الشعر ، كما اختلفت في بعض الأشياء ، أما ما اتفقوا عليه ، فليس لأحد أن يخرج منه] .

٤ ـ وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٥و٦ نشر شاكر .

والصناعات : منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان . . . »[1] (ما بعد هذا كلام معترض حتى تصل إلى رقم ٢٥ ، فهذا إعتراض باعد بين طرفي الكلام وهكذا دأب ابن سلام » .

ـ رقم ٢٥ ـ « رجع إلى [قول] الشعر وإلى قول العلماء فيه » :
٢٥ ـ [ولكل من ذكرنا قول فيه . . .][2] .

ـ ج ـ طبقات فحول الشعراء الجاهليين من الصفحة الثالثة والأربعين إلى الصفحة مئة وتسع وستين / ١٦٩ / .

ـ د ـ طبقة « أصحاب المراثي » وقد صيّرها طبقة بعد العشر طبقات من الجاهليين من (١٧٠ إلى ١٧٦) .

ـ هـ ـ « « طبقة » شعراء القرى العربية » ـ (وهي مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين) من (١٧٩ إلى ٢٣٤) .

ـ و ـ « طبقة شعراء يهود » ـ من (٢٣٥ إلى ٢٤٧) .

ـ ز ـ « طبقات فحول الشعراء الاسلاميين » (وتمتد حتى آخر صفحة من المطبوعة وهي خمسماية وتسع وتسعين من (٢٤٩ إلى ٥٩٩)[3] .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٥ و ٦ نشر شاكر .
(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٢١ : « يعني أنه رجع بعد هذا الاستطراد المستطيل إلى ما بدأ في الفقرة رقم ٢٦ عن خلف الأحمر ورواية الشعر » الملاحظة من الناشر في حاشية ص ٢١ من الكتاب .
ـ « طبقات فحول الشعراء » ص ٥٩٩ ـ ٦٠٠ .
ـ « طبقات فحول الشعراء » نشر م . شاكر حاشية ص ٦٩١ .
(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٦٠٠ ـ ٧١٩ : فهارس الكتاب . ط. /١٩٥٢/ .

ومهما يكن من أمر ما جاء به يوسف هل ، وما جاء به محمود محمد شاكر ، فإن النسخة المطبوعة المتداولة من كتاب الطبقات لا تسلم من الظن بالنقص ؛ تدل عليه تلك الفجوات الظاهرة في نظم الكلام ، وترتيب الكتاب ، فهذا المطبوع[1] لا ينجو من بعض الفوضى والتلفيق[2] ، وهي حقيقة اتفق عليها كل من المحققين ، هل وشاكر : حيث يقول شاكر في مقدمته : « . . . وأظن أيضاً ، أنه بقيت أوراق . . لم أنقلها لا تتجاوز عشرين ورقة . . . وهذا القدر من مراجعة النص يحملني على الجزم بأن أصل كتاب ابن سلام يبلغ ثلاثة أضعاف هاتين المطبوعتين[3] . وأما نص طبعتنا هذه ، فهو يكاد يكون ضعفها أو قريباً من الضعف . . . »[4] .

علماً أن شاكراً أجاز لنفسه ـ أو على حد تعبيره ـ « استباح »[5] لنفسه نقل أخبار أبي الفرج الأصفهاني وأخبار المرزباني ، تلك المسندة لابن سلام

= ـ فهرست الاعلام من صفحة (٦٠١ ـ ٦٧٢) .
ـ فهرست الأماكن من صفحة (٦٧٣ ـ ٦٨٥) .
ـ الغزوات بترتيبها من صفحة (٦٨٧ ـ ٦٨٩) .
ـ فهرست الأشعار : صفحة (٦٩١ ـ ٧٠٨) .
ـ فهرست الأخبار من صفحة (٧٠٩ إلى ٧١٠) .
ـ فهرست شعراء الطبقات من (٧١١ إلى ٧١٣) .
ـ فهرست كتاب « طبقات فحول الشعراء » من صفحة (٧١٥ إلى ٧١٩) .

(١) طبعة هل ، والطبعة المصرية ، وطبعة محمود شاكر .
(٢) مقدمة يوسف هل ، على كتاب « طبقات الشعراء » (٤ ـ ١٩) ومقدمة محمود شاكر على « طبقات فحول الشعراء » ص ١٩ .
(٣) المطبوعة الأوروبية (هل ، والمطبوعة المصرية) .
(٤) مقدمة شاكر عل يالكتاب ص ٥ و٦ و٧ و٨ .
(٥) مقدمة شاكر على الكتاب من صحة ٢٢ إلى صفحة ٣٤ .

عن أبي خليفة الجمحي ، وكذلك أخذ من كتاب « الأمالي » لأبي القاسم الزجاجي .

٩" ـ ما أصاب الكتاب من تبديل :

كذلك أدرك يوسف هل ، ما أقحمه الناسخ وما بدّله في أصل الكتاب[١] . وتظهر أمامنا أدلة أخرى تشير إلى هذا التلفيق والنقص الذي لحق بالكتاب ، بسبب النقل . ونراها في تلك الفجوات الملحوظة في التأليف منها :

١" ـ قول ابن سلام : فنقلنا ذلك الكلام في الشعر وقول العلماء فيه إلى خلف . . . »[٢] ؛ ولم يذكر ابن سلام بعد ذلك شيئاً عن جواب خلف ، أو تعليقه على تلك الأقوال التي نقلت إليه . فسياق الحديث يشعر بأنه كان له رأي ، وأنه كان له تعقيب ، وإلا كان كلام ابن سلام لا طائل تحته ، فليس نقل أقوال العلماء إلى عالم ، شيئاً ذا فائدة ، إلا إذا كان للمنقول إليه رأي يخالف تلك الآراء أو يضيف إليها جديداً .

٢" ـ والمعروف عن خلف ـ لدى العلماء ـ أنه كان يزيد في الشعر وينحله ولا نظن أن ذلك لم يدركه ابن سلام .

٣" ـ إن لابن سلام في كتابه أسلوباً خاصاً ، ومنهجاً واضحاً ومطرداً ، في كل فصوله ، وقد جرت عادته في كل طبقة من طبقات الجاهليين أو الاسلاميين ، أن يبتدىء بذكر أسماء أعلام تلك الطبقة ثم يتناولهم بعد إحصائهم ، واحداً واحداً ، بتفصيل القول في أشعارهم ، وأخبارهم ، وأقوال العلماء فيهم . ولم يشذ ابن سلام عن هذا المنهج إلا في

---

(١) يوسف هل ، في المستدرك ، على الكتاب ص ١٩ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٢١ .

موضع واحد ، وهو موضع كلامه على « الطبقة الأولى من الاسلاميين »[1] فإنه لم يحص في أولها أسماء أعلامها الأربعة ، ولكنه شرع في تفصيل القول عن الفرزدق مباشرة ؛ وهذا يشعر بأن كلاماً قد سقط قبل هذا الكلام ، لم يهتد إليه الناسخ ، أو لعله اهتدى إليه وأخفاه ، ليدل القراء على أن هذا الكتاب ، كتاب ابن سلام كاملاً ، فيزداد تقديرهم له ، وإقبالهم عليه ، أكثر مما لو أشار إلى ما سقط من الكتاب .

١٠ ـ متى ألف ابن سلام « طبقات الشعراء » ؟

كان أبو عبدالله محمد بن سلام[2] قد ألّف ، وصنّف ، كتبه ، أو ألقاها دروساً على تلاميذه ، في مدرسة البصرة ، وفي الفترة التي امتدت بين وفاة أستاذه حمّاد بن سلمة حوالي سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٧ م ، وبين مرضه الذي أقعده في بغداد حوالي سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٦ م[3]

وإذا كان « طبقات الشعراء » كما قال ابن سلام[4] ، هو في الشعر والشعراء ، حسب ما بيّن أنه « بدأ بالشعر » ؛ فهذا ، فيما اعتقد ، إشارة من المؤلف إلى أسبقية تأليفه ، لهذا الكتاب ، على غيره من مؤلفاته : « ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها ، واشرافها وأيامها ، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ،

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٠٤ .

(٢) ولد حوالي سنة ١٣٩ هـ / ٧٥٧ م وتوفي حوالي سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م أو ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م حسب ما ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٥ / ٣٣٠ .

(٣) رواية حسين بن فهم عن ابن سلام في تاريخ بغداد ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ المجلد الخامس .

(٤) طبقات الشعراء ص ٥ .

وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها ، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب . فبدأنا بالشعر»[1].

فكلام ابن سلام يشعر أنه صنّف ، أولاً ، كتاباً في الطبقات ، واتبعه كتاباً في « فرسان العرب » أو « الشعراء الفرسان »[2] ، ثم تلاها بكتاب عن « اشراف العرب وساداتها » ، إذ ذكر له ابن النديم كتاباً سماه « بيوتات العرب »[3] فقد يكون هو الكتاب الذي ذكر فيه « أشراف العرب وساداتها » ؛ ثم صنّف بعد ذلك كتابه « الفاصل في ملح الأخبار » كما أورده ابن النديم ، أو « الفاضل في ملح الأخبار » .

إذا صح أن أبا عبيدة ، المتوفى حوالي سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م أو ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م ، وهو أحد شيوخه قد ألّف كتاباً باسم « طبقات الشعراء » ، الذي ذكره فهرست ابن النديم ، وقد روى ابن سلام ، عن أبي عبيدة ، في سبعة مواضع من طبقاته ، فيكون من المرجح أن ابن سلام ألّف كتابه هذا بعد كتاب أبي عبيدة متأثراً بإستاذه ، في تسمية الكتاب .

ومما يعزز هذا الترجيح أن ابن سلام ذكر في طبقاته بعض ترجمات قصيرة لبعض شيوخه كالخليل بن أحمد ١٧٥ هـ / ٧٩١ م ، وسيبويه ١٨٠ هـ / ٨٠٠٦م ، ويونس بن حبيب ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م ، فالثابت أنه ألّفه بعد كتاب أبي عبيدة ، وبعد كتاب « طبقات الشعراء »[4]

---

(١) طبقات الشعراء ـ المقدمة ص ٥ ـ ٦ .
(٢) الأغاني ما جاء في ترجمة عنترة ج ٨ ص ٢٤٦ ط. دار الكتب وج ١٤ ص ٣١ و١٢٥ . . .
(٣) الفهرست ص ١١٣ ؛ والفهرست ص ١٦٥ .
(٤) الفهرست لابن النديم ص ٥١ .

لاسماعيل بن أبي محمد اليزدي المتوفي حوالي سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م ، وقبل « طبقات الشعراء »[١] لأبي حسان الزيادي المتوفي ٢٤٣ هـ ـ ٨٥٧ م ، الذي لا يعدو أن يكون ناقلاً عن طبقات ابن سلام[٢] .

في ضوء ما تقدم ، يرجح أن يكون تاريخ تأليف الكتاب بين أواخر القرن الثاني للهجرة وأوائل القرن الثالث .

١١" ـ نهجه في تأليف الكتاب :

ـ ألّف ابن سلام طبقاته من مقدمة ، حدّد فيها مفهومه للشعر ونهجه في تحقيق نصوصه ؛ ومن بابين كبيرين ، في « طبقات الشعراء الجاهليين »[٣] ، و « طبقات الشعراء الاسلاميين »[٤] ؛ بينهما « طبقة أصحاب المراثي » التي جعلها طبقة بعد العشر طبقات من الجاهليين ، وأتبعها بطبقة « شعراء القرى العربية » ، وهي مكة والمدينة ، والطائف واليمامة واليحرين . ثم تلاها « بطبقة شعراء يهود » .

ولقد عدّ ابن سلام الشعراء المخضرمين في الجاهليين حيناً ؛ وفي الاسلاميين حيناً آخر ؛ إذ أنه لم يعتبر المخضرمين طبقة مستقلة عن الجاهليين والاسلاميين ، وهو لم يشر في مقدمته ، التي حدّد فيها نهجه في تأليف الكتاب ، إلى ذلك : فهو يذكر أوس بن حجر وبشر بن أبي حازم ، وهما جاهليان ، مع كعب بن زهير والحطيئة ، وهما مخضرمان ؛ وذلك في الطبقة الثانية من الشعراء الجاهليين[٥] . أما الطبقة الثالثة فكلها من

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١١٠ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية م ١٥ ص ٧٩ ـ « مادة طبقات » .
(٣ و ٤) ابن النديم في الفهرست عدّهما كتابين منفصلين متواترين .
(٥) طبقات الشعراء ص ٨١ .

المخضرمين . فيما الرابعة كلها من الجاهليين ، أما الطبقة الخامسة ففيها الجاهلي والمخضرم (. . .) ؛ كذلك ذكر في الثالثة من الاسلاميين كعب بن جعيل ، وعمرو بن أحمر الباهلي ، وسحيم بن الرياحي ، وكلهم مخضرمون ؛ وفي الرابعة حميد بن ثور وهو مخضرم ؛ وفي الخامسة أبا زيد الطائي وهو مخضرم أيضاً . فابن سَلام لم يفصل بين الجاهلي والمخضرم ، بل نزّل المخضرمين منازلهم ، من طبقات الجاهليين والاسلاميين ، وألّف من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فيكون نهجه في تصنيف الشعراء يقوم على وضع الشعراء في طبقة شعرهم عنده : « ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين ، فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء »[٢] .

بذلك يكون قد حدّد موضوع بحثه فقصره على تنزيل الشعراء منازلهم من حيث طبقة الشعر وفق مفهومه عنه ، الذي حدّده آنفاً في المقدمة : يكون أصيلاً ، ويكون للعربية حجة ، قوي المعنى ، يعلم الأدب ، مضرباً للمثل ، رائع المديح ، مقذعاً في الهجاء ، معجباً في الفخر ، طريفاً رقيقاً في النسيب (. . .)[٣] .

وقصر بحثه على أربعين شاعراً ، من الجاهليين ، وأربعين من الاسلاميين : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً . . . »[٣] . وجعل الطبقة من أربعة شعراء ، قياساً على أن أشعر العرب طبقة ، أربعة »[٤] : « ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية

---

(١) طبقات لاشعراء ص ٢١ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٦ .
(٣) طبقات الشعراء ص ٢١ ـ ٢٢ .
(٤) امرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى حسب ما ذكره ابن سلام، وقبله الأصمعي .

عمن مضى من أهـل العلم عـلى رهط أربعـة عـلى أنهم أشعـر العرب[1].

ومنهجه في الطبقات يقوم على الفحص والنظر والرواية عن أهل العلم بالشعر والشعراء ، من شيوخه الذين سبقوه أو عاصروه ، سواء في ذلك ، ما تناوله في المقدمة ، من تحديد لمفهوم الشعر ، وصحة نسبته إلى أصحابه ، واختلاف العلماء فيه ، وعدة الشاعر في صناعته ؛ وما نهجه من أسلوب في تصنيف الشعراء ، في طبقات عشر من الشعر .

(١) طبقات الشعراء ص ٤٢ .

الباب الخامس

مَفهُوم النَقد عِند ابن سلام

أسند ابن سلّام أحكامه النقدية ، التي اعتمد عليها ، في « طبقاته » ، إلى مفاهيم ، وحقائق ، استخلصها من دراسة المسائل ، التي تصدى لها بالبحث ، في « مقدمته » ؛ وهي تتناول : طبيعة الشعر ، ونقد الرواية ، وتحقيق النصوص ، وتأريخ نشأة الشعر ، وعلوم العربية عند العرب . ذلك أن تحديد موقفه منها ، والفصل فيها ، شكّل منطلقاً لمفهومه في النقد الأدبي .

أولاً ـ الشعر علم وثقافة :

لعل أولى المسائل ، التي استوقفت ابن سلام ، هي تحديد طبيعة الشعر . وهو ما بدأ به[1] . لأن علم الشعر هو أول ما يقبل على درسه طلاب العلم والعلماء[2] . وألزم ما يلزمهم للنظر في أمر العرب[3] . وللشعر أصول ومقومات كالتي لأنواع العلم والصناعات . فللعالم بالشعر ثقافته وصناعته

---

(١) طبقات الشعراء ص ٥ ـ حيث قال : « . . فبدأنا بالشعر . . » .
(٢) العالم ، في عصر ابن سلام ، هو عالم الحديث والفقه واللغة والأدب .
(٣) طبقات الشعراء ص ٥ : « . . ما لا يجهله عالم ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب » .

كما للعالم ، بأصناف الصناعات والعلوم ، مهارته وخبرته وثقافته . كلاهما يحتاج إلى الدراسة والتجويد واكتساب العدة في الاختصاص[1] . وكما يتقن الصانع أو العالم صناعته بالمهارة ، والدراية ، وطول المعاودة ، والدربة ؛ كذلك يتقن العالم بالشعر أو الناقد ، عمله بالثقافة العميقة ، والدراسة المتواصلة له ؛ فكثرة المدارسة « تعدي على العلم »[2] . هذه الثقافة والمهارة ، لا تقتصر على حاسة دون غيرها من الحواس ، بيد أنها تشملها جميعاً : البصر ، والسمع ، واللمس ، والذوق[3] . ذلك أنها تعين على فهم الشعر ، وتذوقه ، وتقويمه : من أنعام للنظر ودقة للملاحظة ، إلى إرهاف للسمع والدربة ، إلى فصاحة اللسان وصحة التعبير ؛ خصائص تغني الاختصاص .

وللشعر ، الذي اختاره ابن سلام موضوعاً « لعلمه » ، مواصفات ، وخصائص معينة :

ـ أن يكون حجة في العربية .

ـ أن يستفاد منه الأدب .

ـ أن ينطق بحكمة أو رأي سديد .

ـ أن يكون رائعاً في المديح ، مقذعاً في الهجاء ، معجباً في الفخر ، مستطرفاً في النسيب[4] .

في ضوء ما تقدم ، من تحديد لطبيعة الشعر ، على أنه علم كسائر

---

(١) طبقات الشعراء ص ٦ : « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات » .

(٢ و٣) طبقات الشعراء ص ٦ و٧ .

(٤) طبقات الشعراء ص ٥ و٦ طبعة شاكر .

أصناف العلم والصناعات ، يحتاج إلى صناعة معينة وثقافة معينة ، أجرى ابن سلام المقارنة بين عمل الناقد للشعر ، العالم به وبين عمل الناقد للجواهر ، والأحجار الكريمة ؛ والصائغ أو الصيرفي ؛ الخبير بصنعته ، والعالم بأسرار مادة عمله . فأكد أن ناقدها لا يعرف قيمتها إلا بالمعاينة والخبرة ، فيكشف الأصيل من الزائف الدخيل ، بالبصر بها ، كما يخرج ناقد الشعر ، الصحيح من الزائف ، ويميز بين الجيد والرديء منه . لكل منهما مهارته ، وعلمه ، واختصاصه[1] .

فإذا كان البصر بغريب « النخل » ، والبصر بأنواع « الرقيق » ، والبصر بضروب المتاع ، يحتاج إلى الاختصاص في ضروب من المعرفة ، وفروع من العلم ، وإلى سعة من الثقافة ، والإطلاع على خصائصها ، وأصولها ، ومقوماتها ، ودقائقها ، وسائر تفاصيلها ، وأنواعها ؛ فكم يحتاج ناقد الشعر ، العالم البصير به إلى ذلك ، للإحاطة الشاملة ، والعميقة ، بموضوع عمله ، ومعرفته الدقيقة له [2] . قصد ابن سلام ، من خلال هذه المقارنة ، وعرض الأمثلة ، إلى إقامة البرهان ، على أن نقد الشعر علم ، وأن على الناقد أن يكون عالماً به ، متوافراً على دراسته .

بذلك حدّد موضوع الشعر ، وعمل الناقد ، مشيراً إلى السبل والوسائل التي تمكنه من النجاح في مهمته العلمية .

ثانياً ـ نقد الرواية وتحقيق النصوص :

أن المسألة الثانية التي عرض لها ، ابن سلام ، في مقدمة كتابه ، هي صحة الشعر ، وصحة الرواية . فأدرك أن الشعر العربي القديم ، المتداول

---

(١) طبقات الشعراء ص ٧ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٨ .

عـلى لسـان الـرواة ، والمـدون في كتب الأخبـار والأنسـاب » وصحف القبائل » ، أغلبه مفتعل وموضوع ، من قبل الرواة ، على لسان الشعراء . كما أدرك أن الشعر المنحول هذا ، لا قيمة فنية أو تاريخية له . ذلك أنـه لا يغنينا في علم أو أدب ، ولا معنى أو دلالة . وجعله في موضع الشك لأنه لم يؤخذ عن أهل البادية بـالمشافهـة . وإنما تنـاقله ـ بعض المنتفعين بـالأخبار والقصص ـ من كتاب إلى كتاب ، من كتب السير والأخبار . لذلك رفضه وأسقطه من حساب الشعر العربي الأصيـل ، بإجماع أهـل العلم بالشعـر وصحة الرواية ؛ وأكد أن كل ما لم تثبت صحة نسبته ، ولا يقوم عليه إجماع العلماء ، لا بـدّ من اعتباره دخيـلاً ومفتعلاً ، ومـوضـوعـاً على من نسب إليه . وعليه حذّر ابن سلام أهل العلم بالشعر والرواية من أن يأخذوا من « صحيفة » ، أو أن يرووا عن « صحفي »[1] .

فإبن سلام أسقط الشعر المنحول بأدلة وبراهين ومسلمات :

١" ـ أخذ بآراء شيوخه والعلماء الموثوقين ممن سبقوه إلى ذلـك في الاشارة إلى هذا الموضوع ؛ **إثباتاً لمسألة ضياع الشعر القديم** ؛ وذلك حين قال مستنداً إلى رأي شيوخه : « قال يونس بن حبيب : قال أبو عمـرو بن العلاء ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير »[2] .

٢" ـ أثر الفتوحات ونشر الـدعوة : ثم أخـذ يلتمس الأسباب التي دعت إلى ضياع هذا الشعر وافتعاله من قبل الرواة . فاستأنس بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال : « . . . قـال عمر بن الخـطاب :

---

(١) طبقات الشعراء ص ٦ ط . شاكر ١٩٥٢ : « في الشعـر المسموع مفتعـل موضوع . . » .

(٢) طبقات الشعراء ص ١٧ ، وطبقات فحول الشعراء ص ٢٢ .

كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الاسلام ، فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر لم يؤولوا إلى ديوان مدوّن ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، **فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير** »[1] .

فإثبات ابن سلام لهذا الخبر والتعليل المروي عن الخليفة الراشد ، ما هو إلا تأكيد منه على أن قسماً من الشعر قد ضاع بهلاك الرواة في حروب الفتح ونشر الدعوة ، وتأكيد آخر ، على دواعي نحل الشعر من قبل جيل الرواة الجديد .

٣" ـ أثر العصبية في وضع الشعر :

كذلك رأى أن من الأسباب التي أدت إلى ضياع الشعر القديم ، فدفعت رواة القبائل إلى وضعه وافتعاله ، العصبية بين العشائر ، التي أحيت الصراعات القبلية ؛ فأخذت القبائل تبحث عن أمجاد غابرة لها تصلها بأمجاد الحاضر ؛ وإن لم تجدها اصطنعتها ؛ بحيث أن القبائل التي استقلت شعر شعرائها ، وذكر أيامها ، ومآثرها ، ووقائعها ؛ أرادت أن تفوز بأمجاد الماضي ، وتلحق بمن ذكرت لهم الوقائع والأيام والأشعار ، فقالت الشعر ووضعته على ألسن من عرف من شعرائها ، وافتعلت الأيام والوقائع .

وفي الاشارة إلى أثر العصبية ، ذكر ابن سلام ، أن قريشاً كانت أقل القبائل العربية شعراً في الجاهلية ، فاضطرها ذلك إلى أن تكون أكثر العرب نحلاً للشعر في الاسلام ؛ حين قال : « وقريش تزيد في أشعارها تريد

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٢ .

بذلك الأنصار والرد على حسان »[1] .

فالعصبية السياسية في العصر الاسلامي كان لها أثرها الكبير في وضع الشعر ، فكان الصراع بين « حزب » القرشيين ، و « حزب » الأنصار مدعاة لافتعال الشعر ، والزيادة في الأشعار ، ومنها ما حمله الرواة على حسان . أدرك ذلك ابن سلام حيث قال : « لما تعاضهت قريش واستتبت وضعوا عليه ـ (أي حسان) ـ أشعاراً كثيرة لا تليق به»[2] . وأدرك أن العصبية الدينية ، هي التي دفعت إلى تطويل قصيدة أبي طالب التي يمدح فيها النبي ﷺ .

وكذلك أشار ابن سلام ، إلى علاقة وضع الشعر بطبيعته ذاتها ؛ فشعر قريش لين ، يسهل تقليده ، والحمل عليه ، مما جعل كشف ما وضع منه ، موضع إشكال ، عند أهل العلم والبصر بالشعر[3] .

وفي الاشارة إلى ذلك قال ابن سلام : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها ، واستقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم »[4] .

٤" ـ **دور الرواة في وضع الشعر** : كشف ابن سلام عن دور الرواة في نحل الشعر ، وأضافته إلى القليل مما حفظوه من الشعر القديم . ذلك لأن ما بقي في حافظة الرواة لا يكفي لنيل الحظوة والتكريم والاجازة عند العلماء ، ولدى شيوخ القبائل : فالعلماء كانوا يقبلون بشغف على تدوين

---

(١) طبقات الشعراء ص ٧٨ و ٧٩ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٨٣ و ٨٤ .
(٣) طبقات الشعراء ص ٩٥ .
(٤) طبقات فحول الشعراء ص ٤٠ ، وطبقات الشعراء ص ٢٣ .

الأخبار والأشعار بحثاً عن الشواهد اللغوية والنحوية . . وفي سبيل وضع المصنفات في الأنساب والتراجم والأخبار ـ غالباً ما كانوا يدفعون بدلاً لقاء كل رواية أو خبر جديد أو طريف ـ وكذلك كان يفعل شيوخ القبائل ، إذا ما اتصل الخبر بشأن تأثيل أمجادهم .

٥" ـ **إسقاط ما أضافه أبناء الشعراء إلى شعر آبائهم** : وإذا كان لا يشكل على ابن سلام أمر ما وضعه بعض الرواة من شعر على بعض الشعراء ، كما لا يخفي عليه ، ولا على غيره من أهل العلم ، والنظر بالشعر ، ما وضعه المولدون على الشعراء القدامى ؛ فإن ما يشكل عليه ، وعلى أمثاله من أهل العلم ، ما وضعه أهل البادية من أبناء الشعراء أو أحفادهم ، وما وضعه بعض البدو من ذوي الخبرة بالشعر الجاهلي ، وهم لا يزالون يمتلكون اللغة والخيال الجاهليين[1] . ذلك ما دفع ابن سلام إلى التحقيق في نسبة الشعر إلى الشعراء ، وجعله يلتمس السبل إلى كشف المنحول منه ، والاشارة إلى وجوه الافتعال والتكلف فيه . وإذا كان وجه الصعوبة ، في هذه المسألة ، يقوم على وضع الشعر من قبل ولد الشعراء على الشعراء أنفسهم ، فلا بد من الاجتهاد في البحث عن الأدلة والثوابت التي تكشف بطلان تلك المرويات المدسوسة ، وكشف أغراض الرواة ، والرد على مزاعمهم .

عرض ابن سلام بعض الشواهد على ذلك حين قال : « وأخبرني أبو عبيدة أن ابن دؤاد بن متمم بن نويرة قدم البصرة . . فأتيته أنا وابن نوح

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٤ وطبقات فحول الشعراء ص ٤٢ : « . . . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الأشكال » .

فسألناه عن شعر أبيه متمم وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته ،فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها لنا وإذا كلام دون كلام متمم وإذا هو يحتذي على كلامهِ فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله[1] .

أراد ابن سلام أن يدعم موقفه من الشعر الموضوع مسترشداً بموقف شيخه أبي عبيدة ، وهو من الثقات ، في هذا الشأن ، وأن يعرض أسلوب العلماء في نقد الرواية ، وإخضاع الراوي للتحقيق من قبل عالم خبير بالشعر ؛ وبمشافهة الرواة .

٦" ـ التشهير بالوضّاعين من الرواة :

حذّر ابن سلام من كذب بعض الرواة ، ومن خبرتهم في وضع الشعر ، خصوصاً بالنسبة لمن امتهنوا الرواية ، واحترفوا تجارة الأخبار . فعرض أمثلة وشواهد ، تشير إلى من اشتهر منهم ؛ كما عرض آراء شيوخه من العلماء ، فيمن رآه أكثرهم خطورة ، في هذا المجال . فقال : « كان أول من جمع أشعار العرب ، وساق أحاديثها حماد الرواية وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره ، ويزيد الأشعار كما أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة فقال ما أطرفتني شيئاً فعاد إليه فأنشده القصيدة التي هي مديح أبي موسى ونسبها إلى الحطيئة . فقال ويحك يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به وأنا أروي للحطيئة ، ولكن دعها تذهب في الناس . . »[2] . ثم قال : « سمعت يونس يقول العجب لمن يأخذ عن حماد كان يكذب ويلحن ويكسر »[3] . وفي ذلك

---

(١) طبقات الشعراء ٢٣ ـ ٢٤ وطبقات فحول الشعراء ٤٠ ـ ٤٢ .

(٢) طبقات الشعراء ص ٢٤ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ص ٤١ .

إشارة إلى استفحال وضع الشعر وشيوعه منذ البدء بجمع أشعار العرب وأخبارهم ؛ وإثارة الشك في صحة ما بقي منها ؛ ودعوة إلى نقد التراث وتحريره من الزائف المفتعل الذي أقحم به .

٧" ـ **أثر شهرة الشاعر في حمل الشعر عليه** : لفت ابن سلام الانتباه إلى أن شهرة الشاعر ، غالباً ، ما تكون ، صيداً دسماً للرواة الوضّاعين ، وموضوع إثارة لشائعاتهم ، وسوقاً لترويج بضاعتهم .. فكلما كان الشاعر مشهوراً حمل عليه الرواة حملاً كثيراً ؛ خصوصاً إذا كان موغلاً في القدم ، يصعب على نقاد الرواية كشف الشاهد على كذبها . وهذا ما أصاب شعر طرفة وعبيد : « ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد والذي صحّ لهما قصائد بقدر عشر . . . ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر ، وكانا أقدم الفحول فلعل ذلك لذلك ، فلما قلّ كلامهما حمل عليهما حمل كثير[1] . وهذا ما جعل ابن سلام ضعيف الثقة بما نسب من شعر إلى الشعراء الأقدمين .

٨" ـ **إسقاط ما جاء في السيرة لمحمد بن إسحاق** : تصدى ابن سلام بالنقد لما وضعه محمد بن إسحاق ، صاحب السيرة ، من شعر مفتعل ، نسبه إلى من لم يقولوا الشعر ؛ فكان « ممن هجن الشعر وأفسده وحمل منه كل غثاء » . وكان من علماء الناس بالسير فقبل الناس منه الأشعار . . ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعاراً لنساء لم يقلن الشعر قط ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود ، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ ألوف من السنين ، والله يقول (إنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى[2] . وقال :

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٧ و ١٨ ـ وطبقات فحول الشعراء ص ٢٣ .

(٢) سورة النجم الآية ٥١ .

﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾[1] ، ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾[2] ، وقال ﴿ وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله[3] ، ﴿ وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾[4] . وبذلك يسقط ابن سلام ما ورد في « سيرة » محمد بن إسحاق من شعر موضوع ، بأدلة أربعة :

أ ـ أولها دليل نقلي وهو ما نزل به القرآن الكريم . فالله عز وجل يقول في كتابه العزيز « أنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى » ، وفي عاد « فهل ترى لهم من باقية » .

ب ـ ثم ينتقل ابن سلام إلى إثبات ذلك بأدلة تقوم على الاستدلال التاريخي .

فاللغة العربية لم تكن موجودة ، بعد ، في عهد عاد وثمود ، وليس يصح في الأذهان أن يوجد . شعر بلغة لم تظهر بعد . إذ أن أول من تكلم بالعربية اسماعيل بن إبراهيم ، وإسماعيل كان بعد عاد . ثم أن معداً ، الجد الذي قبل الأخير ، فيمن يعرف من جدود العرب كان بإزاء موسى بن عمران أو قبله قليلاً ، وموسى بن عمران جاء بعد عاد وثمود[5] .

ج ـ ويبسط ابن سلام الأدلة والشواهد لرد هذا الشعر الذي وضعه محمد بن إسحق ، فيذكر ان عادا من اليمن ، وأن لليمين لساناً آخر غير هذا اللسان العربي ، الذي جاء به الشعر العربي ؛ ويستدل على ذلك بقول أبي عمرو بن العلاء : « العرب كلها ولد إسماعيل الأحمير وبقايا جرهم » وبقوله : « ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا »[6] .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٤٥ .
(٢) سورة الحاقة الآية ٨ .
(٣) سورة إبراهيم الآية ٩ .
(٤) سورة الفرقان : الآية ٣٨ .
(٥)و٦) طبقات الشعراء ص ٨ ؛ طبقات فحول الشعراء ص ٩ .

د ـ ثم يرجع إلى تاريخ نشوء الشعر العربي وعهد ظهور القصيدة العربية ، فيذكر بعض الشعراء الذين ازدهر الشعر بهم ، ويبين أن ذلك العهد قريب من ظهور الاسلام ؛ فيقول : « ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة ، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع »[1] ، ويقول في موضع آخر : « كان أول من قصّد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب . . . »[2] .

ثالثاً ـ تأريخ نشأة الشعر ، وعلوم العربية :

أ ـ تاريخ نشأة الشعر :

أثار بن سلاّم ، في مقدمة كتابه ، مسألة نشأة الشعر عند العرب ، فرأى أن الأوائل من شعرائهم لم يدركوا القصيدة ذات الموضوع ؛ دفعة واحدة . وإنما كانت لهم في البدء بعض الأبيات المتفرقة ، التي تعبر عن حوادث طارئة في حياتهم اليومية ، وشؤونهم المعيشية ، وأن العرب لم يبلغوا عصر القصيدة إلا في عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ؛ وأن ما نسب إليهم من شعر صحيح قبل هذا التاريخ ، لا سبيل إلى الوثوق به ، لأنه ضرب من الوهم ، نسجه خيال الرواة فيما بعد ، فلا بد من إسقاطه[3] .

ثم استعرض ابن سلاّم نماذج من قديم الشعر الصحيح عند العرب ، الذي استدعته حادثة أو مناسبة في حياة القبيلة ؛ أو حياة بعض

---

(١) طبقات الشعراء ص ٨ : وطبقات فحول الشعراء ص ٢٤ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٢٢ ـ وطبقات فحول الشعراء ص ٣٤ .
(٣) طبقات الشعراء ص ١٨ . وطبقات فحول الشعراء ص ٢٤ و ٢٥ .

أفرادها ، كمثل ما أصاب العنبر بن عمرو بن تميم ، من ريب ، أثناء إقامته في بهراء ؛ حيث قال :

« قد رابني من ولدي اضطرابها
والنأي في بهراء واغترابها »

« أن لا تجيء ملأى يجيء قرابها »[1]

ومنها ما قالته النوّار لزوجها مالك في حادثة أخيه سعد مع إبله حين أخفق في سقيها وهو يقول :

« ويظل يوم ورودها مزعفراً
وهي خناطيل تجوس الخضرا »

« أوردها سعد وسعد مشتمل
ما هكذا تورد يا سعد الإبل »[2]

فجرى جوابها مجرى المثل ، يضرب في كل ما شابه حال « سعد » .

ـ ومثل قول دؤيد بن زيد بن فهد في مواجهة الموت :

« اليوم يبني لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته يا رب نهب صالح حويته
ورب غيل حسن لويته ومعصم مخضّب ثنيته [3]

ـ وقول أعصر بن سعد في حوادث الزمان وتوالي الأيام :

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٨ ـ وطبقات فحول الشعراء ص ٢٤ و ٢٥ .
(٢) طبقات الشعراء ص ١٩ ـ وطبقات فحول الشعراء ص ٢٧ .
(٣) طبقات الشعراء ص ١٩ وطبقات فحول الشعراء ص ٢٨ .

« قالت عميرة ما لرأسك بعدما
نفد الزمان أتى بلون منكر
أعمير إن أباك شيب رأسه
كرّ الليالي واختلاف الأعصر »[1]

ـ وقول المستوغر بن ربيعة في ملل العيش ، لمّا طال عليه :

« ولقد سئمت من الحياة وطولها
وازددت من عدد السنين مئينا
مئة أتت من بعدها واثنان لي
وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي إلا كما قد فاتنا
يوم يكرّ وليلة تحدونا »[2]

ـ ومثل قول زهير بن جناب الكلبي لأولاده مطمئناً ، وخائفاً من عذاب الشيخوخة ، طالباً الرحمة ، وقد طال به العمر :

« أبني أن أهلك فأني قدبنيت لكم بنية
وجعلتكم أبناء سادا ت زنادكم وريّة
من كل ما نال الفتى قد نلته إلا التحية
والموت خير للفتى ولييهلكن وبه بقية
من أن يرى الشيخ البجا ل وقد يهادى بالعشية »[3]

ـ وقول جذيمة الأبرش في تعاقب الحياة والموت :

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٩ و ٢٠ وطبقات فحول الشعراء ص ٢٩ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٢٠ وطبقات فحولا لشعراء ص ٣٠ .
(٣) طبقات الشعراء ٢١ وطبقات فحول الشعراء ٣٢ .

« ربما أوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات
في فتو أنا رائبهم من كلال غزوة ماتوا
ليت شعري ما أماتهم نحن أدلجنا وهم باتوا »[1]

ولعل ما يشير إلى أقدمية المحاولات الشعرية كما يشير إلى ضياع الشعر القديم ، ما لاحظه ابن سلام ، من ذكر لبكاء ابن حذام على الأطلال ، سابق لبكاء امرىء القيس في قوله :

« عوجا على الطلل المحيل لعلنا
نبكي الديار كما بكى ابن حذام »[2]

وابن حذام رجل من طيء لم يسمع شعره الذي بكى فيه ولا شعر غير هذا الذي ذكره امرؤ القيس .

ـ بعد هذا العرض لنماذج من الأعمال الشعرية التمهيدية ، ولأشكال من المحاولات التعبيرية المتواضعة ، التي سبقت عصر ولادة القصيدة العربية والتي شكلت عهد تجريب واعداد وانضاج لاشكال تعبيرية بدائية أخذت تعبره خطوة خطوة ، فتتنامى شيئاً ، فشيئاً ، لتتكامل ، وتتماثل في شكلها ، ومضمونها ، على عهد ربيعة ؛ وعلى لسان عدي بن ربيعة التغلبي ، تحديداً ، إذ كان أول من « قصد القصائد وذكر الوقائع » في قتل أخيه كليب ، الذي قتلته قبيلة بني شيبان . وأهب هذا الحادث عاطفة عديّ ، فإذا بها شعراً ، رقيقاً ، مهلهلاً . وبه أضحى عدي مهلهلاً في الشعراء[3] .

وبعد أن عرض ، ابن سلام ، لرحلة تطور ، وتكوّن القصيدة العربية ، وحدد تاريخ نشأتها أخذ يواكب تنقلها في القبائل العربية عبر

(١) طبقات الشعراء ٢١ وطبقات فحول الشعراء ٣٢ .
(٢) طبقات الشعراء ٢١ وطبقات فحول الشعراء ٣٣ .
(٣) طبقات الشعراء ٢٢ وطبقات فحول الشعراء ٣٤ .

الأعصر الأولى : فشعر الجاهلية في ربيعة ، يتبعه المهلهل ، فالمرقشان ، فسعد بن مالك ، فطرفة بن العبد ، فعمرو بن قمئة ، فالحارث بن حلزّة ، فالمتلمس ، فالأعشى ، فالمسيب بن علس .

ثم جرى في قيس أشهرهم النابغة الذبياني ، ومنهم زهير وابنه كعب ، ولبيد والنابغة الجعدي ، والحطيئة ، والشمّاخ ، ومزّرد ، وخداش بن زهير .

ثم آل الشعر إلى تميم ولم يزل فيهم إلى عصر ابن سلام[1] .

ـ بعد حديثه عن رحلة الشعر في القبائل العربية ؛ ذكر ابن سلام أن امرأ القيس ، وطرفة وعبيد ، وعمرو بن قمئة ، والمتلمس ؛ كانوا جيل شعراء القصائد الأول ، بعد مهلهل ، وكانوا في عصر واحد .

فيكون ابن سلام أول من فطن إلى المعاصرة في التأريخ الأدبي عند العرب ، وصاحب الريادة في تحديد العصر الأدبي الأول لأنه كان أول من وضع عدداً من الشعراء في إطار العصر الواحد . وعلى هدى منهجه هذا درج المؤرخون اللاحقون . فبعد ابن سلام أصبح ربط الشعر بالزمن والمعاصرة أحد أهم المبادىء الأساسية في عملية التأريخ الأدبي ولاكتشافه هذه المنهجية ، التي لم تعرف أحداً سبقه إليها ، أثره الكبير في مجال دراسة الأدب وتاريخه .

كذلك كان للمقارنة التي عقدها بين الشعراء الفحول من الجاهليين ، والشعراء الفحول من الاسلاميين ، والتركيز على الخصائص الذاتية ،

---

(١) طبقات الشعراء ٢٢ وطبقات فحول الشعراء ٣٥ ، يقول إبن سلّام : « ولم يزل فيهم إلى اليوم ».

والصفات الخلقية لكل منهم ، وعلاقة هذه وتلك بشعر كل منهم ، مكان الريادة الخلاقة في نمط جديد من الدراسة الأدبية الآخذة في التحليل الموضوعي للشخصية وإدراك العلاقة القائمة بين الأديب وبين إنتاجه الأدبي ، واختلاف طابع الأدب باختلاف طبيعة الأديب ونوازعه الذاتية . فلو أن ابن سلام تابع ذلك واستغرق فيه ليشمل دراسة النصوص الشعرية لكل شاعر بالمقارنة مع دراسة ظروفه الموضوعية والذاتية ومدى انعكاساتها على نتاجه الفني . لكان بذلك قد فتح فتحاً أدبياً مبيناً ، في عصر مبكر ، إلا أن ذلك قد يكون من باب تحميل العصر الذي كان فيه الرجل ، ما لا قدرة لديه على احتماله .

ومهما يكن من أمر، فإن ابن سلام أدرك حقائق ذات أهمية قصوى، إذا ما وضعت في إطار الزمان والمكان الذي عاش فيه ، فيما يتعلق بمسألة تأريخ نشأة الشعر العربي القديم . وكانت له فيها نظرته التطورية ، ورأيه العلمي الذي استند إلى آراء من سبقه ومن عاصره من العلماء الثقات ، والرواة المصححين . كما كان له أسلوبه ومذهبه في عرض المسألة ، والتماس الأمثلة ، والشواهد التاريخية واستعراض النماذج الشعرية ليخلص إلى الاستدلال التاريخي والأدلة العقلية على أن الشعر قطع مراحل تطورية متلاحقة ومتواصلة إلى أن بلغ عهد القصيدة شكلاً ومضموناً . كما لا يخفى أن ابن سلام قد أرخ لأقدم فنون الشعر العربي ، قصيداً ، وهو الرثاء ، على لسان مهلهل بن ربيعة .

ب ـ تأريخ نشأة العلوم العربية :

كشف ابن سلام ، في مقدمة « طبقاته » تاريخ وضع علم النحو ، وأشار إلى دواعي وضعه ، وعلّل مكانه وزمانه ، والفئة التي انشغلت به من العلماء . فذكر أن أهل « البصرة » هم أول من وضع علم النحو عند

العـرب ؛ ذلك لأن لهم « في العـربيـة قـدمـة »[1] ، وشـرف الأسبقيـة في الاطلاع والعناية بلغات العرب ولهجاتهم ، ومعرفة الغريب منها ؛ فالبصرة سوق ثقافية ولغوية كانت تعرض القبائل فيها ، لهجاتها وغريب ألفاظها ، وهي على مقربـة من الصحراء ، فيقبـل العلماء على سمـاعها ، وجمعهـا ، وتدوينها فيما بعد .

فكان أبو الأسود الدؤ لي ـ أو الذئلي ـ أول من « استن العربية ، وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها [2] ؛ وهـو من « البصرة » وعلمهـا الأول في هذا المجال . وقـد وضع قـواعد النحـو عندمـا اصطدمت اللغـة العربية باللغات الأجنبية ، واللهجات الاقليميـة ، فتبـاينت واضـطربت لغـة العرب بفعـل لهجات المـوالي ، وطول إقـامتهم بين العـرب ، فغلبت السليقه ، وأخطأ العرب لغتهم ، وخرجوا عن قياسهـا ، فوقـع اللحن في كلام الخاصة بعد أن عمّ الخـطأ والاضطراب كـلام العامـة . فكان لا بـد « لـرجل البصـرة » ـ أبي الأسود الـدؤ لي ـ من أن يضـع بـاب الفـاعـل ، والمفعول به ، والمضاف ، وحروف الجر ، والرفع والنصف والجزم . ثم تناقل هذا العلم ، من بعده ، العلماء . إذ أخذ يحيى بن يعمر ، عن أبي الأسود ، هذا العلم ، وهو عالم مأمون فيما يأخذ . وأخذ عنه ، ممن أخذوا ، ميمون الاقـرن ، وعنبسـة الفيـل ، ونصـر بن عـاصم الليثي . . . كـما روى عنـه قتـادة ، وإسحاق بن سـويد وغيـرهما من علماء عصـره[2] . فشكّل هؤلاء طلائع الجيل الأول في علم النحو .

جـاء بعدهم الجيـل الثاني من العلماء الـذي أغنى نتاج الجيـل الأول ووسّـع مداه ، ورسّـخ أسسـه . فكـان زعيمهم عبـدالله بن أبي إسحـاق

---

(١) طبقات الشعراء ص ٩ وطبقات فحول الشعراء ص ١٢ .
(٢) طبقات الشعراء ص ١٠ ـ ١٥ وطبقات فحول الشعراء ص ١٢ ـ ٢٠ .

الحضرمي ، وهو أول من « بعج النحو ، ومدّ القياس والعلل » ، وكان معاصره أبو عمرو بن العلاء « أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها » .

ثم جاء الجيل الثالث من العلماء : يتقدمهم عيسى بن عمر الذي أخذ عن ابن أبي إسحاق ، ويونس بن حبيب الذي أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ؛ ثم معاصرهم مسلمة بن عبدالله بن محارب الفهري ، وحماد بن الزبرقان . إلا أن يونس وحماد كانا يفضلان مسلمة ، في هذا العلم ، رغم المعاصرة .

ثم كان الجيل الرابع ، ويتزعمه الخليل بن أحمد ، وهو رجل من الأزد من فراهيد ، عرف بالفراهيدي ، أو الفرهودي[1] . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ؛ فأسس علم النحو الذي أخذه عنه تلميذه سيبويه ، وكان أول من استخرج العروض وابتكر علمه ، ووضع أسسه ، و « استنبط منه ومن علمه ما لم يستخرج أحد ، ولم يسبقه إلى علمه سابق »[2] . ومن هذا الجيل كان سيبويه الذي وضع علم النحو في « كتاب » ضمّ ما ابتكره الخليل إلى محصول من سبقه من العلماء . وكان الجيل الخامس جيل أبي عبيدة والأصمعي . كذلك يذكر ابن سلام ، أخذ أعلام مدرسة الكوفة ، المفضل بن محمد الضبي ، وكان « أعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة »[3] .

ولم يكن يخفى على ابن سلام ، ما شهدته علوم العربية من تطور ونماء ، من جيل إلى جيل . فأدرك ما كان عليه علم النحو في عهد ابن أبي إسحاق وما آل إليه في عهد أبيه ، وعهد يونس حيث قال : « سمعت أبي

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٥ وطبقات فحول الشعراء ص ٢٠ .
(٢) طبقات الشعراء ص ١٥ وطبقات فحول الشعراء ص ٢٠ .
(٣) طبقات الشعراء ص ١٦ وطبقات فحول الشعراء ص ٢١ .

يسأل يونس عن أبي إسحاق وعلمه قال : هو والنحو سواء وهو الغاية ، قال فأين علمه من علم الناس اليوم . قال : لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه لضحك منه . . »[1] .

وهو لم يعرض لمؤسسي علوم العربية وحسب ، بل عرض لمسائل النحو المطروحة في مناظرات العلماء ، فعرض نماذج من الشواهد التي اختلفوا في تعليلها ، وتأويلها ، ووضع الضوابط ، والقواعد النحوية واللغوية لها . كما قدّم أمثلة من الأخطاء واللحن الذي وقع في أقوال بعض الشعراء ، والقرّاء . وأشار إلى ميزة ومنزلة كل من العلماء ، ومدى ما توفر عليه كل منهم في هذا العلم أو ذاك . وفي ذلك التفاتة ذكية ، ومبكرة إلى مجال الاختصاص عند العلماء ؛ كذلك عرض لبعض لهجات القبائل ، ولبعض وجوه القراءات[2] .

١" ـ أشار إلى حرج العلماء لدى تصحيحهم ما يلحن به الولاة ، وما كان يلقاه أحدهم إذا ما تجرأ على الاشارة إلى خطأ أو لحن في قراءة حاكم كالحجاج ، الذي سأل يحيى بن يعمر ؛ إن هو سمعه يلحن . قال يحيى : « حرفا في القرآن » قال الحجاج : « ذلك أشنع » ، فما هو؟ قال : « تقول [إن كان آباؤكم وأبناؤكم] إلى قوله [أحبُّ إليكم من الله . .] بالرفع وكأنه لما طال عليك الكلام نسيت ما ابتدأت به ؛ والصحيح . . [أحبّ إليكم . .] ـ سورة التوبة ٢٤ ـ فقال الحجاج : « لا جرم لا تسمع لي لحناً أبداً » ؛ فألحقه بخراسان[3] . لقد قصد ابن سلام أن يبين ما بذله العلماء ، في البدء ، من جهود ، وتضحيات ، وشجاعة ، في سبيل الحرص على صحة اللغة ، وإظهار مدى صعوبة مهمتهم .

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٢ وطبقات فحول الشعراء ص ١٥ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٩ ـ ١٥ وطبقات فحول الشعراء ص ١٢ ـ ٢٠ .
(٣) طبقات الشعراء ص ١٠ و١٢ وطبقات فحول الشعراء ص ١٣ و١٦ .

٢" ـ ومن الأدلة على تصدي العلماء لأخطاء الشعراء ما عرضه ابن سلام من أمثلة حين قال : « كان عيسى يقول أساء النابغة في قوله ، في أنيابها السم ناقع ، موضعها ناقعاً »[١] .

ـ وكان ابن أبي إسحاق يقول للفرزدق ، في مديحه يزيد بن عبدالملك[٢] : « أسأت إنما هي ريرُ وكذلك قياس النحو في هذا الموضع »[٣] . ولما كان عبدالله بن أبي إسحاق يكثر الرد على الفرزدق . قال فيه :

« فلو كان عبدالله مولى هجوته
ولكن عبدالله مولى موالياً »

فقال ابن أبي إسحاق : « رد الياء على الأصل ، وهي أبيات ، لو كان هذا البيت وحده تركه ساكناً » : والحليف عند العرب مولى[٤] .

ورد الفرزدق في قوله :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحتاً أو مجلفُ (مجرفُ)

: « وللرفع وجه » ؛ كذلك قال أبو عمرو بن العلاء : « لا أعرف لها وجها » .

كذلك كان يونس « لا يعرف لها وجها » . كما لاحظ ابن سلام خطأ الفرزدق في قوله :

---

(١) طبقات الشعراء ص : ١ و ١١ وطبقات فحول الشعراء ص : ١٣ و ١٦ .

(٢) « مستقبلين شمال الشام تضربهم بحاصب كنديف القطن منثور
على عمائمنا يلقي وأرحلنا على زواحف تزجيها محاريرُ

(٣ و ٤) طبقات الشعراء ص ١٣ وطبقات فحول الشعراء ص ١٦ و ١٧ .

« فيا عجبا حتى كليبٍ تسبني
كأن أباها نهشل ومجاشع »

إذ « جعله غاية فخفض »[1] .

٣" ـ وحول اختلاف العلماء في مسائل النحو ووجوه القراءات ، وميزة كل منهم قال : « كان عيسى بن عمر إذا اختلفت العرب فزع إلى النصب »[2] ، وقال : « أخبرني يونس أن أبا عمرو بن العلاء كان أشد تسليماً للعرب ، وكان ابن إسحاق ، وعيسى بن عمر يطعنان عليهم »[3] .

ـ « وكان عيسى بن عمرو وابن أبي إسحاق يقرآن بالنصب » [يا ليتنا نرد ولا نكذّبَ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين] ـ سورة الأنعام ٢٧ ـ « وكان الحسن وأبو عمرو بن العلاء ويونس يرفعون [نكذب ونكونُ] ـ فاحتكم ابن سلام إلى سيبويه في ذلك وسأله : « كيف الوجه عندك » . قال : « الرفع » . قال ابن سلام : « فالذين قرأوا بالنصب ؟ » . قال سيبويه : « سمعوا قراءة ابن أبي إسحاق فأتبعوه »[4] . وقال أيضاً : « كان عيسى بن عمر يقرأ [الزانيةَ والزاني] ـ سورة النور ٢ ـ و[السارقَ والسارقَة] ـ سورة المائدة ٣٨ ـ ؛ وكان ينشد :

* يا عدياً لقلبك المهتاج *

وكان يقرأ [هؤلاء بناتي هن أطهَر لكم] ـ سورة هود ٧٨ ـ فقال له أبو عمرو بن العلاء : « هؤلاء بنيّ هم ماذا ؟ فقال : عشرين رجلاً . فأنكرها أبو عمرو »[5] .

وكان أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر يقرآن [يا جبال أوبي معه

(١ و ٢ و ٣) طبقات الشعراء ص ١٢ و ١٤ و ١٥ وطبقات فحول الشعراء ص ١٥ و ١٧ و ٢٠ .

(٤ و ٥) طبقات الشعراء ص ١٤ وطبقات فحول الشعراء ص ١٨ .

والطيرَ] ـ سورة سبأ ١١ ـ « ويختلفان في التأويل . وكان عيسى بن عمر يقول : على النداء ، كقولك يا زيدُ الحارثَ ، والحارثُ جميعاً إذا نصب وكأنه قال أدْع حارثاً »[1] .

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : « لو كانت على النداء لكانت رفعا ، ولكنها على إضمار [وسخَرنا الطيرَ] ، كقوله على أثر هذا [ولسليمان الريحَ] ـ سورة سبأ ١ ـ أي سخرنا الريحَ »[2] .

٤" ـ وفي عرضه لبعض لهجات العرب ذكر أن « لطيء » لغتين « وقد تكلمت بهما العرب »[3] ؛ ومن مثل ذلك قولهم : « بقا » و « فنا » بدلاً من « بقي ، وفني » ؛ ومنها قول المستوغر بن ربيعة بن سعد :

« هل ما بقا إلا كما قد فاتنا ... يوم يكر وليلة تحدونا»

وقول زهير :

« توبع صارة حتى إذا ما ... فنا الدحلان عنه والإضاء»

ومثلها قول زهير أيضاً :

« إذا المرء صمّ فلم يناج ... وأودى سمعه ندايا
ولاعب بالعشي بني بنيه ... كفعل الهر يحترش العظايا
يلاعبهم وودوا لو سقوه ... من الذيفان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شرابا ... ولا يسقى من المرض الشفايا

ولغة تميم التي تقول « الصويق » ، وتعني « السويق »[4] .

ـ ومنهم من يقول ، « مجلفا » ، و « مجرفا » للأرض التي جرفتها السيول فصيرتها جلفا كالذي ورد في قول الفرزدق[5] .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ١٩ .
(٢ و٣ و٤ و٥) طبقات الشعراء ص ١٢ و١٥ و٢٠ وطبقات فحول الشعراء ص ١٩ و ٢٩ .

بـذلك يكـون ابن سلام قـد وفى موضـوعه حقـه ، كـما وفى اللغـة العربية ، وعلماء أهل زمانـه حقهم في الذكـر والتنويـه والاشارة ، ووضـع اللبنة الأولى ، أسلوباً ومضموناً ، في تـأريخ نشـأة العلوم العربيـة ؛ وقدّم صورة حية عن واقع الحال الذي كانت عليه اللغة ومسائلها ، وعلماؤها ، في عصره ؛ للذين توالوا من بعده ، فتوفروا على دراسة تـاريخها ، وبحث مسائلها . ولابن سلام يبقى فضل الريادة الذي لم يسبقه إليه أحد من قبل، من بين ما وصل إلينا .

رابعاً ـ المفاضلة بين الشعراء وتصنيفهم في طبقات :

لعل الفكرة الأساسية التي تلقي ضوءاً على منهج ابن سلاّم النقدي ، هي ما جاء في حديثه عـلى الشعراء ، وتصنيفهم في طبقـات ، إستناداً إلى مفهومه القيمي . إن مـا قام بـه إبن سلاّم من محـاولة تقسيم الشعـراء إلى مجموعات وطرائف ، بحسب تفاوتهم في كثرة الانتاج الأدبي ، وفي جودته ، وحسب مقدرتهم على التصرف في فنون الشعر وأغراضه ، وبحسب الزمان والمكان والبيئة التي نشأوا فيها . هذه المحاولة في تصنيف الشعراء تعـد من فنـون الدراسـات النقدية ، ومن أهم الأغراض التي يـطلب إلى النقاد أن يقدموا آراءهم فيها إلى جمهور الدارسين والمشتغلين بالمسائل الأدبية عامة .

وقـد حقق إبن سلاّم كثيـراً من غـايتـه في تصنيف أولئـك الشعـراء موضوع «طبقاته»؛ إذ قدّم مئة وأربع عشرة ترجمة لمئة وأربعة عشر شاعراً من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين ، وطبقة شعراء المراثي ، وطبقة شعراء القرى العربيـة ، وطبقة شعـراء يـ ، فجعـل الجاهليين منهم ، في عشر طبقـات وجعل كـل طبقة أربعـة شعراء. وكـذلك جعـل طبقـات شعـراء الاسلام .

وفي ذلـك يقول : « ففصلنـا الشعراء من أهـل الجاهليـة والاسـلام

والمخضرمين فنزلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء[1] . وقال أيضاً : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط كل طبقة متكافئين معتدلين »[2]. ثم قال : « ثم إنّا اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم على رهط أربعة من فحول شعراء الاسلام اجتمعوا على أنهم أشعر الاسلاميين طبقة ثم إختلفوا فيهم بعد . وسنسوق في إختلافهم واتفاقهم ونسمي الأربعة ونذكر الحجة لكل واحد منهم ، وليس تبدئتنا واحداً في الكتاب تحكم له ، ولا بد من مبتدأ »[3] ؛ والأصوب أن يكون كلام ابن سلاّم على الشعراء الجاهليين متواتراً قبل أن ينتقل إلى الكلام على الشعراء الاسلاميين ، وأظن أن هذه الفوضى في ترتيب الكلام جاءت من الناسخ ، فعلى هذا الأساس يكون الأصح : « ثم إنّا إقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم ـ إلى رهط أربعة على أنهم أشعر العرب طبقة ، ثم إختلفوا فيهم بعد . وسنسوق في إختلافهم وإتفاقهم ، ونسمي الأربعة ونذكر الحجة لكل واحد منهم »[4].

فرّق ابن سلاّم المخضرمين من الشعراء بين طبقات الجاهلية وطبقات الاسلام : فهو يذكر كعب بن جعبل في الثالثة من الاسلاميين ، وقد شهد الجاهلية ، وعمرو بن أحمر الباهلي ، وهو مخضرم أيضاً ، وكذلك سحيم بن

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٦ وطبعه م . شاكر ص ٢١ .
(٢) طبقات الشعراء ص ١٦ وطبعة م . شاكر ص ٢٢ .
(٣) طبقات الشعراء ص ٢٤ وط . م . شاكر ص ٤٢ وهي مختلفة « على أنهم أشعر العرب طبقة » تحل محل « أشعر الاسلاميين طبقة » المقدمة ص ١٩ .
(٤) نفس المصدر ط . م . شاكر .

وئيل الرياحي فهو مخضرم ؛ كما جعل حميد بن ثور في الرابعة من الاسلاميين وهو مخضرم ؛ وكذلك أبا زيد الطائي في الخامسة ، وجعل قراد بن حنش وبشامة بن العذير في السادسة من الاسلاميين ، وهما جاهليان بلغا الاسلام وإن لم يسلما . كما جعل الأغلب العجلي في التاسعة من الرجّاز وهو مخضرم . فإبن سلاّم لم يصنف المخضرمين في طبقات خاصة بهم ، ولكنه فرّقهم بين طبقات أهل الجاهلية وطبقات أهل الاسلام ؛ فقد وضعهم كلا حسب طبقة شعره عنده ونزّله منزلة من تشابه شعره بشعر نظيره[1] من حيث التنوع والجودة . وهو في تراجمه التي قدّمها في « طبقاته » للشعراء لم يلتفت إلى ترتيب تاريخ مولودهم أو تاريخ وفاتهم .

أ ـ طبقات الشعراء الجاهليين :

ـ الطبقة الأولى وهم : امرؤ القيس بن حجر ، ونابغة بني ذبيان ، واسمه زياد بن معاوية ويكني أبا إمامة ، وزهير بن أبي سلمى ، واسم « أبي سلمى » ربيعة ، والأعشي واسمه ميمون بن قيس ويكني أبا بصير[2].

ومما ذكره إبن سلاّم ، إسناداً لجعلهم في الطبقة الأولى : إنهم أشعر العرب طبقة ، بإجماع علماء البصرة وأهل الكوفة والحجاز والفحول من شعراء العصر الاسلامي [3]. فقدم امرأ القيس بإجماع أهل الجاهلية والاسلام وإجماع العلماء من شيوخه ، ولأنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها إستحسنتها العرب وأتبعته فيها الشعراء ، منها : إستباق صحبه ، والبكاء في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ : شبّه النساء بالظباء والبيض ، وشبّه الخيل بالعقبان والعصي ، وقيّد الأوابد ، وأجاد في التشبيه . وفصل

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٦ ـ ٢٢ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٢٥ و ٤٣ ط. شاكر .
(٣) طبقات الشعراء ص ٢٦ ـ ٣١.

بين النسيب وبين المعنى ، وكان أحسن طبقته تشبيهاً . . .

وقدّم النابغة لأنه كان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً ، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف . وإنما نبغ النابغة بالشعر بعدما إحتنك وهلك قبل أن يهتر ؛ واستند إلى ما روى عن عمر بن الخطاب أنه قال : أي شعرائكم يقول :

فلست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث أي الرجال المهذب

قالوا النابغة . قال : هو أشعرهم . . وجعل زهيراً في الطبقة الأولى لأنه كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يتتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل ، إلا بما فيه ، واستند إلى ما قاله أهل النظر في زهير أنه أحكمهم شعراً وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة في المدح ، ولأنه أكثرهم عروضاً ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحاً وهجاء ونظراً وصفة . وهو لم يكن له مع ذلك بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه . وصنّف الأعشى في الأولى لأنه أشجع الناس ، وأخطب الناس ، وأجمل الناس ، وكان أجمعهم على حد قول خلف ، والأعشى نظير جرير في الاسلام على حد قول أبي عمرو بن العلاء . وأشار ابن سلاّم إلى مستوى البناء الشعري واللغوي عند شعراء الطبقة الأولى ، فأدرك أنه لم يقو من هذه الطبقة ، ولا من أشباهها أحد إلا النابغة في قوله : أمن آل مية رائح أو مغتدي . . . في بيتين[1] .

ويظهر مما تقدم أن ابن سلاّم قد وضع الشعراء الأربعة ، في الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين ، عادّاً إياهم « أشعر العرب طبقة ، معتمداً في

---

(١) طبقات الشعراء من ص ٢٦ ـ ٣١ .

ذلك على إسنادين : الأول : ما وجد لهم من حجة في شعرهم ؛ والثاني : مما قاله فيهم العلماء .

ـ فامرؤ القيس حقق السبق والريادة والابداع في القول عند العرب ، رقيق النسيب ، قريب المأخذ ، جيد التشبيه والوصف ، بل هو أجودهم جميعاً .

ـ والنابغة أحسنهم ديباجة ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً ، ليس في شعره تكلف ، رغم أن الشاعر ملزم بالصياغة والعروض والقوافي ، أما المتكلم فهو مطلق يتخير الكلام ، « والنابغة نبغ بالشعر بعدما احتنك . . » وهذه إشارة إلى كثرة الممارسة والدربة والمدارسة ، وهي إشارة إلى المعاناة والتجربة ، وإنها التفاتة نيّرة ومعبرة تنبيء عن فطنة ابن سلاّم وخبرته الفنية إذ أدرك أثر التجربة والمعاناة في إغناء موهبة الشاعر ؛ كما أشار ابن سلاّم إلى الفرق بين النثر والشعر في البناء الفني ومستلزماته . ولاحظ أن بناء النثر أيسر من بناء الشعر ؛ لأن الشاعر « يحتاج إلى البناء الشعري » ويعني « الصياغة » ـ والعروض والقوافي والمتكلم مطلق يتخير الكلام » .

ـ وزهير « لا يعاظل بين الكلام »، ويتجنب « حوشيه »، وهو صادق في المديح وأحكم ، أهل طبقته ، شعراً ، بليغ المعاني ، بليغ الشعر ، بدوي القول .

ـ والأعشى واسع التصرف في أغراض الشعر وفنونه جميعاً ، فهو « أكثرهم عروضاً »، وأذهبهم في فنون الشعر »، و « أكثرهم طويلة جيدة »، وهو أجمعهم .

هذا ما احتج به ابن سلاّم لشعراء الطبقة الأولى ، وقد ضرب ذلك مثلاً بالنسبة لتصنيف باقي الشعراء مستمراً في نهجه وفق مفهومه في تقدير

الجـودة والوفـرة ، وتنوع الأغـراض ، والاحتكـام إلى رأي جمـاعـة العلماء ومتذوقي الشعر .

فأوزد بالتسلسل الطبقي من اختـارهم من الشعراء الجـاهليين[1] في المنازل اللاحقة .

ب ـ ثم ذكر بعد الجاهليين ، أصحاب المراثي وهم :

متمم بن نـويـرة ، والخنســاء ، وأعشى بـاهلة ، وكعب بن سعــد

---

(١) طبقات الشعراء ٤٣ ـ ٧٧ وطبقات فحول الشعراء ص ٨١ ـ ١٦٤ .
ـ والـطبقة الثـانيـة : أوس بن حجـر وبشـر بن أبي حـازم ، وكعب بن زهيـر ، والحطيئة .
ـ والطبقة الثالثة : النابغة الجعدي « أبو ليلى » وأبو ذؤيب الهذلي ، والشمّاخ بن ضرار بن سنان ولبيد بن ربيعة بن مالك .
ـ الطبقة الرابعة : طرفة بن العبد ، وعبيد بن الأبـرص ، وعلقمة بن عبـدة ، وعدّيّ بن زيد .
ـ الطبقة الخامسة : خـداش بن زهير ، والأسـود بن يعفر ، وأبـو يزيـد المخبل السعدي ، وتميم بن أبي مقبل .
ـ الطبقة السادسة : عمرو بن كلثوم بن تغلب ، والحارث بن حلّزة . . وعنترة بن شداد ، وسويد بن أبي كاهل .
ـ الطبقة الســابعة : سلامة بن جندل ، والحصين المزّي ، والمتلمس ، والمسيب بن علس .
ـ الـطبقـة الثـامنـة : عمـرو بن قميئة ، والنمـر بن تـولب ، وأوس بن غلفــاء الهجيمي ، وعوف بن عطية .
ـ الطبقة التاسعة : وهم ضـابيء بن الحارث ، وسـويد بن كـراع ، والحويـدرة الذبياني ، وسحيم عبد بني الحسحاس .
ـ الـطبقة العـاشرة : وهم أميـة بن حرثـان ، وحريث بن مخفظ ، والكميت بن معروف بن الكميت الأسدي ، وعمرو بن شأس الأسدي .

الغنوي . . . وجعلهم طبقة بعد العشر طبقات[1] من الجاهليين ثم أعقبهم بشعراء القرى العربية : وهن خمس : المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين. وشعراء المدينة الفحول ، خمسة : ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس . فمن الخزرج من بني النجار ، حسان بن ثابت ، ومن بني سلمة كعب بن مالك ، ومن بلحارث بن الخزرج عبدالله بن رواحة ، ومن الأوس قيس بن الخطيم ، وأبو قيس بن الأسلت من بني عمرو بن عوف[2] .

ـ **شعراء مكة** : عبدالله بن الزبعري ، وهو «أبرعهم» ، وأبو طالب بن عبدالمطلب ، والزبير بن عبدالمطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية (لم يترجم له) وضرار بن الخطاب ، وأبو عزة الجمحي ، وعبدالله بن حذافة السهمي (لم يترجم له). وهبيرة بن أبي وهب المخزومي[3] .

ـ **شعراء الطائف** : وبالطائف شعراء[4] . وهم أبو الصلت بن أبي ربيعة ، وابنه أمية بن أبي الصلت ، وهو أشعرهم ، وغيلان بن سلمة ، وكنانة بن عبد ياليل (لم يترجم له) وأبو محجن الثقفي .

ـ أما اليمامة ، فيذكر ابن سلام أنه لا يعرف بها « شاعراً مشهوراً »[5] .

ـ **شعراء البحرين** : وهم المثقب العبدي والممزق العبدي والمفضل النكري[6] .

ـ **شعراء يهود** : ومنهم السموأل بن عادياء من أهل تيماء . ومنهم

(١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦) طبقات الشعراء ص ٧٨ ، ٨٤ و٩١ و١٠٢ و١٠٧ و١٠٩ .

الربيع بن أبي الحقيق من بني النضير ، وكعب بن الأشرف وهو من طيء ، وشريح بن عمران ، وشعبة بن غريض ، وأبو قيس بن رفاعة ، وأبو الذيال ، ودرهم بن زيد .

ولعل ما يسترعي الانتباه ، تلك الملاحظة التي أوردها ابن سلاّم في تعليله قلة شعر المدن ، في حديثه على شعراء القرى العربية ، إذ أدرك أثر الحروب والصراعات العصبية ، وما تبعثه في النفوس من حمية تدفع إلى قول الشعر بما تلهبه من الحماس ، وبما تثيره من العواطف في نفوس القوم[1] .

ج ـ طبقات الشعراء الاسلاميين :

ـ الطبقة الأولى وهم : الفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، والراعي .

وحول اجتماع القوم ، في عصره ، على تقديمهم ، واختلافهم في تفضيل الواحد منهم على الآخر ، لا سيما بالنسبة للثلاثة الأول ؛ وانقسام أهل العلم والأدب بين الفرزدق وجرير : قال ابن سلام : « سمعت يونس بن حبيب يقول ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه جرير والفرزدة وأجمع أهل المجلس على أحدهما . وكان يونس يقدم الفرزدق بغير إفراط ، وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة . واخبرني أبو قيس العامري عن عكرمة بن جرير ، أن جريراً قال : نبعة الشعر الفرزدق . وقال ابن دأب وسئل عنهما ، فقال : الفرزدق أشعر عامة ، وجرير أشعر خاصة . .[2] وفي موضع آخر يقول : « وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلداً ، وهو البيت المستغني بنفسه ، المشهور ، الذي يضرب به المثل . . كقوله :

والشيب ينهض في الشباب كأنه
ليل يصيح بجانبيه نهار[3]

(١ و ٢ و ٣) طبقات الشعراء ص ١٠٢ و ١١٢ و ١٢٧ و ١٢٨ .

ـ وعن ذكر جرير يقول : « سألت بشارا العقيلي عن الثلاثة فقال لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وافرطت فيه ، فقلت فجرير والفرزدق . قال : كان جرير يحسن ضروباً من الشعر لم يحسنها الفرزدق ، وفضّل جريرا عليه »[٤] ؛ وفي موضع آخر يسأل العلاء بن جرير العنبري فيقول : « كان يقال الأخطل إن لم يجيء سابقاً فهو سكيت ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكيتاً ، فهو بمنزلة المصلي ، وجرير يجيء سابقاً وسكيتاً ومصلياً . . »[١] : وفي موضع آخر يقول : وسألت الأسيدي أخا بني سلامة عنهما فقال : بيوت الشعر أربعة : فخر ومديح ونسيب وهجاء ، وفي كلها غلب جرير »[٢] : ولَجَا الهجاء نحواً من أربعين سنة لم يغلب واحد منهما على صاحبه . ولم يتهاج شاعران في الجاهلية ، ولا في الاسلام بمثل ما تهاجيا به وأشعارهما أكثر من أن نأتي عليها ولكنّا نكتب منها النادر . . »[٣] .

ـ أما في ذكر الأخطل فيقول إبن سلام : «حدثني أبو يحيى الضبي قال : كان عبد الرحمن بن حسان ويزيد بن معاوية يتقاولان فاستعلاه ابن حسان فقال يزيد لكعب بن جعيل أجبه عني وأهجه ، فقال والله ما تلتقي شفتاي بهجاء الأنصار ولكن أدلك على الشاعر الفاجر الماهر فتى منا يقال له الغوث نصراني وكان كعب سمّاه الأخطل ، سمعه ينشد هجاء فقال يا غلام إنك لاخطل اللسان » . . »[٤] .

وفي حديث أبي قيس العنبري عن عكرمة بن جرير، حين سأله أبوه عن الشعراء . . فقال : « الأخطل يجيد نعت الملوك ، ويصيب صفة الخمر »[٥] . ثم يورد ابن سلاّم ، مقلدات الأخطل ، ويوازنها بمقلدات جرير والفرزدق .

(١ و٢ و٣ و٤ و٥) طبقات الشعراء ص ١٢٩ و١٣٢ و١٣٥ و١٣٦ و١٦٠ و١٦١ و١٦٧ و١٦٨ و١٧٤ .

ـ وفي ذكر الراعي واخباره ، وترجمته يقول ابن سلاّم : « والراعي عبيد بن الحصين كان من رجال العرب ووجوه قومه وكان مع ذلك بذيئاً هجّاء لعشيرته . . . وكان يعد هجاء جرير له مغلباً . قال رجل من قومه : علاّمة وراوية ، فصيح ، فكان فحل مضر حتى ضغمه الليث يعني جريراً . ولقد هجا الراعي فأوجع »[1]. فابن سلاّم يجعل أسس المفاضلة بين الشعراء تقوم على مبادئه التي حددها ، آنفاً ، وهي آراء العلماء ، والرواة والشعراء فيهم ، وما يجده من حجة في شعر الشاعر. وهذه الحجة تستند إلى جودة شعر الشاعر ، وإلى كثرة شعره ، وإلى تعدد الفنون التي يخوض فيها هذا الشاعر ؛ وهذا ما اعتمده ابن سلام في تصنيف الشعراء الجاهليين والاسلاميين[2] على حد سواء ؛ وهو المفهوم الذي قامت عليه « نظريته الطبقية ».

---

(١) طبقات الشعراء ص١٢٩ و١٣٢ و١٣٥ و١٣٦ و١٦٠ و١٦١ و١٦٧ و١٦٨ و١٧٤

(٢) طبقات الشعراء ١٧٤ إلى آخر الكتاب وطبقات فحول الشعراء ٢٤٩ ـ ٥٩٩.

ـ الطبقة الثانية وهم : البعيث واسمه خداش بن بشر بن دارم ، والقطامي ، وكثير عزة ، وذو الرمة .

ـ الطبقة الثالثة وهم : كعب بن جعيل بن قمير التغلبي ، وعمرو بن أحمر الباهلي ، وسحيم بن وثيل الرياحي ، واوس بن مغراء القريعي (لم يترجم له).

ـ الطبقة الرابعة وهم : نهشل بن حرى ، وحميد بن ثور الهلالي ، والأشهب بن رميله ، وعمر بن لجأ التيمي .

ـ الطبقة الخامسة وهم : أبو زبيد الطائي واسمه حرملة بن المنذر ، والعجير بن عبدالله السلولي ، وعبدالله بن همام السلولي ، ونفيع بن لقيط الأسدي .

ـ الطبقة السادسة وهم : عبيدالله بن لؤي ، والأحوص بن عبدالله ، وجميل بن معمر بن بحتر العذري ، ونصيب مولى عبدالعزيز بن مروان . وهذه الطبقة « حجازية ».

ولعل شغف ابن سلاّم بتصنيف الشعراء في طبقات ، وتأثره بأساليب علماء عصره ، وشيوخه بوجه خاص ، ما حمله على ألا يتعرض لتحليل النصوص الأدبية ، فيظهر جمالها الفني ، وعناصرها الرائعة ، أو ما عسى أن يكون فيها من ضعف وهزال ؛ بل انصرف إلى الشعراء أنفسهم ذاكراً لهم ما يراه جيداً دون أن يذكر أسباب تلك الجودة في الكثير الغالب . فليست لابن سلاّم أحكام على الشعر نصاً؛ بل أحكام على الشعراء ، وتنويه بما لهم من القول الجيد المشهور وبما لهم من نظراء فيه ، وبالمنزلة التي هم أهل لها . ويورد ابن سلاّم ، في هذا المجال ، بعض ما ذكره العلماء والرواة من قبل . وكثيراً ما يكون له مبتكر لم يسبق إليه : « فعلقمة الفحل له ثلاث روائع لا يفوقهن شعر »[1] . وسويد بن أبي كاهل له قصيدته التي أولها :

بسطت رابعة الحبل لنا
فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وله شعر كثير ولكن برزت هذه على شعره[2]. « هذه الأحكام عرفت منذ زمن مبكر ؛ عرفت في الجاهلية ، فقريش قالت لعلقمة في قصيدتين من

= ـ الطبقة السابعة وهم : المتوكل الليثي ، ويزيد بن ربيعة الحميري ، وزياد الأعجم العبدي ، وعدي بن الرقاع .
ـ الطبقة الثامنة وهم : عقيل بن علقمة المري ، وبشامة بن الغدير المري ، وشبيب بن البرصاء ، وقراد بن حنش .
ـ الطبقة التاسعة وهم : « رجاز » الأغلب العجلي وكان مقدما وهو أول من رجز ؛ وأبو النجم واسمه الفضل بن قدامة العجلي ، والعجاج بن رؤبة (لم يترجم له)، ورؤبة بن العجاج .
ـ الطبقة العاشرة وهم : مزاحم بن الحارث العقيلي ، ويزيد بن الطثرية وهو يزيد بن المنتشر ، وأبو دؤاد الرؤاسي ، والقحيف العقيلي .
(١ و ٢) طبقات الشعراء وطبقات فحول الشعراء٥٧ و٥٤ و١٥٤ و٤٧ و٤٧ .

« الثلاث » : هاتان سمطا الدهر ؛ والجاهليون كانوا يسمون « عينية » سويد بن أبي كاهل « اليتيمة »[1] .

ونرى ابن سلاّم يستعين كثيراً بآراء معاصريه من اللغويين والأدباء والرواة ، ويستند إليهم في آرائه . فأما أحكامه التي لم يتقدمه بها أحد ، فهي ؛ مع ذلك كثيرة . وإن كانت أحياناً أحكاماً عامة ينقصها العمق والتحديد . فللأسود بن يعفر « واحدة طويلة رائعة »[2] ؛ يقصد قصيدته :

نام الخلي وما أحس رقادي
واهم محتضن لديّ وسادي

وله شعر كثير جيد ولا كهذه . .[3] .

« وكان لكثير من التشبيب نصيب وافر ، وجميل مقدم عليه في النسيب[4] . والشماخ بن ضرار ، كان شديد متون الشعر ، أشد أسر كلام من لبيد ، وفيه كزازة ، ولبيد أسهل منطقاً منه »[5] . هذه الأحكام كثيرة في « الطبقات » ، وهي من بحوث ابن سلاّم نفسه ، ومما اهتدى إليه بذوقه الخاص . ولكن الكتاب كما يدل عليه عنوانه ، موضوع في طبقات الشعراء ؛ فالمفاضلة بينهم وإنزال كل شاعر منهم في المنزلة التي تلائمه بين نظرائه ، هو أساس الكتاب وقوامه ، ودعامته الكبرى .

ولما كان إبن سلام أحد الاخباريين والرواة ، وأحد اللغويين والنحاة ، فهو لذلك لم يلتفت إلى تحليل النصوص الشعرية تحليلاً نقدياً أدبياً ، وهو من رجال المصنفات ، اعتاد كتابة التراجم ، وتتبع الأخبار وتسجيل الآراء ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لم يشهد عصره ، ولم تشهد

(١ و٢ و٣ و٤ و٥) طبقات الشعراء ، وطبقات فحول القراء ، ٥٧ و٥٤ و١٥٤ و٤٧ و٤٧

البصرة بعد ، على حد علمنا عملاً نقدياً متكاملاً تـوخّى تحليل النصـوص ودراستها دراسة نقدية وأدبية قبل ابن سلاّم . ومع ذلك ، فلا أرى ابن سلاّم مقصّراً في خدمة النقد الأدبي لأن النقـاد القدمـاء أمثالـه كشفوا عن بعض الحقـائق في ميدان النقـد والأدب عامـة ، ولكنّ مناهجهم في النقـد كانت أضعف من مناهجنا ، فكانوا يبدأون ثم يقصرون عن الغـايـة[1]. وهـذا أمر طبيعي تماماً بالنسبة لابن سلاّم إذا نظرنا إليه في إطاره التاريخي ، وأخذنا بعين الاعتبار العصر الذي عاش فيه .

والواضح أن وضع جماعة من الشعراء في منزلة واحدة ، فكرة قديمة ، فطن إليها الأدبـاء الاسلاميون في أن جريـرا والفرزدق والأخـطل طبقة . وسمّاها اللغويون بجعلهم أمرأ القيس وزهيرا والنابغة والأعشى طبقة (فحولة الشعـراء للأصمعي ، والمفضليـات للمفضـل الضبي) ومعنى طبقـة أنهم نظراء ، وأنهم المتقدمون المبرّزون ؛ وفكرة الطبقة الأولى توحي بـالضرورة بطبقات أخرى ، وهذا ما استوحاه ابن سلاّم ، فجعل الشعراء طبقـات ، وجعل الأربعة الجـاهليين الأول المقدمين ، أول طبقات الجاهلية ، والثلاثة الاسلاميين ، أول طبقات الشعراء الاسـلاميين ، مضيفـاً إليهم الراعي . وربما كان من المصادفة أن تتألف الطبقـة الأولى من الجاهليـين ، من أربعة شعراء ، فحمل ذلك ابن سلاّم على جعل كل طبقة ، تالية لها ، مؤلفة من شعراء أربعة ، وجعل عدد الطبقات من هؤلاء وأولئك عشراً . ولعل ابن سلاّم قد أدرك ما أدركه الجاحظ من تفسير « الطبقـة » الرباعية التأليف عند القدماء ، إذ ذكر ذلك في كتابه البيان والتبيين : « والشعـراء عندهم أربـع طبقات ، فأولهم الفحل الخنذيذ . والخنذيـذ هو التـام : قال الأصمعي : قال رؤبة ، الفحولة هم الرواة ؛ ودون الفحل الخنـذيذ الشـاعر المفلق ،

---

(١) في الأدب الجاهلي لطه حسين ص ١٣١ .

ودون ذلك الشاعر فقط ، والرابع الشعرور . ولذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء :

«يا رابع الشعراء كيف هجوتني وزعمت أني مفحم لا أنطق»[1]

فجعله سكيتاً مخلفاً ، ومسبوقاً مؤخراً . وسمعت بعض العلماء يقول : طبقات الشعراء ثلاث : شاعر ، وشويعر ، وشعرور . . » ؛ فقد يكون ابن سلام قد أخذ عن القدماء هذا المعنى للطبقة وطوّره ليستوي لديه ، فيما بعد ، بهذا المفهوم الجديد ، الذي اتبعه في تصنيف الشعراء ، وإقامة المفاضلة بينهم على أساسه ؛ وذلك لأنه متقدم على الجاحظ في الزمن ، وفي التأليف ، وإن كان قد عاصره عهداً طويلاً ، من الزمن ، في البصرة ؛ كما أن الجاحظ ينقل هذا المعنى « للطبقة » عن الأصمعي ، والمعلوم أن ابن سلام عرف الأصمعي ، وأخذ عنه . ولا غرو في ذلك ، فهو أحد شيوخه . وهو في تقسيمه الشعراء الجاهليين إلى بدو وحضر « أهل وبر ، وأهل مدر » ، قد أدرك أثر البيئة في الشعراء ؛ وهو إذ قصر الطبقات على البادين وحدهم ، أدرك أن الشعر الجاهلي ، في جملته شعر بادية . ولذلك قصد إلى تفريق الشعراء الاسلاميين بين بدو وحضر .

ولما كانت الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين ، والطبقة الأولى من الشعراء الاسلاميين قد حددت من قبل ابن سلام ، و « طبقاته » ؛ فإنه لمن الطبيعي إلا نجد له فيها أثراً ، ولا حكماً ، ولا رأياً خاصاً ، في الغالب ، اللهم ألا فضل التدوين والتسجيل لهذه الآراء ، وجعله الراعي رابع الفحول الاسلاميين الثلاثة ؛ فابن سلام في الطبقة الأولى يكتفي بما كثر فيها من قول وخصومة بين السابقين ، فلا ينقض أمراً أبرموه ، ولا يدحض رأياً

---

(١) البيان والتبيين، الجزء الثاني، ص ٤٠.

ايدوه ، ولا يأتي بدليل جديد . فإذا جاوز الطبقة الأولى إلى غيرها روى لأصحابها إن كانت فيهم رواية ، وأورد ما قيل فيها من قبل ، ثم يكون له رأي ، وتدخل ، وقول فصل . فحسان بن ثابت يقول : « أشعر الناس حياً هذيل »[1] . والفرزدق يقول في النابغة الجعدي : « مثله مثل صاحب الخلقان ترى عنده ثوب عصب وثوب خز ، وإلى جنبه سمل كساء »[2] . وأبو عمرو بن العلاء يقول في خداش بن زهير بن ربيعة : « هو أشعر في قريحة الشعر من لبيد ، وأبى الناس ألا تقدمه لبيد »[3] . يأتنس ابن سلام بمثل هذه الآراء في كلامه على غير شعراء الطبقة الأولى ، ولكنه يزيد من عنده ما يجده من حجة في قول الشاعر ، ويحكم على بعض الشعراء أحكاماً قد لا تتفق مع ما يراه بعض السلف من أهل العلم والرواة ؛ فهو بعد أن يسمي أصحاب المراثي يقول : « والمقدم عندنا متمم بن نويرة »[4] ؛ ويقول في قيس بن الخطيم : « ومن الناس من يفضّله على حسان ، ولا أقول ذلك »[5] .

وفي كل فكرة أو موقف نرى ابن سلام يستند إلى آراء السابقين ، ويجعل كلامهم بدء بحثه ومستهل تعقيبه على أي خبر أو موقف . ذلك ظاهر في ثنايا الكتاب جميعاً وتعداد الطبقات . وظاهر كذلك في الأساس الذي جعل عليه الشعراء في طبقات إلى جانب كثرة الشعر وجودته وتعدد أغراضه عند كل شاعر ؛ فيقدر ثروته الشعرية ، وتنوعها ، وإجادته فيها يستحق منزلته في الطبقة الأولى أو الثانية أو الثالثة . . . التي توازنها .

لقد وضع ابن سلام الأسود بن يعفر في الطبقة الخامسة من الجاهليين ، وقال فيه : « وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأول الشعر . لو كان شفعها بمثلها قدمناه على أهل مرتبته[6] » . ووضع كثير بن عبد الرحمن الخزاعي في

(١ و ٢) طبقات الشعراء ص ٤٧ و ٤٤ .
(٣ و ٤ و ٥ و ٦) طبقات الشعراء ص ٥٣ و ٧٨ و ٨٩ و ٥٤ .

الطبقة الثانية من الشعراء الاسلاميين ، وجعل جميل بثن معمر في السادسة ، مع أنه يقول : « أن جميلاً مقدم عليه في النسيب» ، ولم يخف ابن سلام سر ذلك إذ شفعه بقوله : « ولكثير في فنون الشعر ما ليس لجميل »[1] . فلتنوع أغراض كثير الشعرية ، التي استدعت وفرة شعره ، قدمه على جميل ، وإن كان جميل استاذه في فن شعري خاص ، وهو النسيب .

وكذلك قوله في شعراء يثرب : « وأشعرهم حسان بن ثابت . . **هو كثير الشعر جيده** »[2] .

ولا بد من الاشارة في الحديث على نظرية ابن سلام « الطبقية » هذه ، إلى أن منهجه فيها لم يقتضر على الأسس الفنية (الجودة والوفرة والتنوع) وحسب ، بل تعداها إلى أسس تاريخية أيضاً حين نهج في تقسيمه الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين ومخضرمين حسب أزمانهم . وبذلك أدرك الرابطة بين الأدب والتاريخ ، فوضع الأساس للمنهج التاريخي في النقد الأدبي[3] . فنحن لو نظرنا في كتاب « الطبقات » لوجدنا ابن سلام قد قدّم الجاهليين من الشعراء ، وأفرد لهم كتاباً خاصاً (طبقات الشعراء الجاهليين) ، ثم عرض لشعراء القرى العربية ومن ثم انتقل للحديث على الشعراء الاسلاميين وصنّفهم في طبقات : فالمعيار الطبقي في قسمة كتابه إلى جاهليين وإسلاميين يقوم على المقياس التاريخي ويعبر عن إدراكه للصلة بين الأدب والتاريخ . كما يعبر معياره الطبقي في المفاضلة بين الشعراء عن مقياسه الفني الذي يقوم على كثرة الشعر وجودته وتنوع فنونه .

(١ و ٢) طبقات الشعراء ص ١٨٤ و ٨٤ .
(٣) دراسات في نقد الأدب العربي للدكتور بدوي طبانة صفحة ١٤٥ ، وأصول النقد الأدبي للاستاذ أحمد الشايب صفحة ١٢٧ وما بعدها .

خامساً ـ الصلة بين الأدب والبيئة في منهج ابن سلام النقدي :

أن الصلة بين الأدب والبيئة عامل جوهري من عوامل النقد الأدبي ، فضلاً عن أنها باب من أبواب الدراسات الأدبية ، فتأثير البيئة في الأدب ، قديم قدم الاجتماع الانساني ، بل قدم التعبير الأدبي عينه حتى عدّ أهل الأدب ، والمشتغلون بالمسائل الأدبية ، الأدب تعبيراً عن البيئة ، وظلالها في النفس الانسانية ، وصورة جميلة من صورها .

لقد أدرك ابن سلام هذه الصلة بين الأدب والبيئة في وقت مبكر بالنسبة إلى قدامى دارسي النصوص الأدبية ؛ فكان سبّاقاً في تلمسه لأثر البيئة الفعال في طبيعة الشعر العربي وفي طبائع الشعراء العرب الجاهليين منهم والاسلاميين على حد سواء .

فتصنيف الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين كان يشعر بإدراك الصلة بين الشعر الجاهلي والبيئة الجاهلية التي طبعته بطابعها ، وإدراك الصلة بين الشعر الإسلامي والبيئة الإسلامية التي أرخت عليه ظلالها ووسمته بآثارها .

وتقسيمه الشعراء إلى « أهل وبر ، وإلى « أهل مدر » ؛ قسّمهم بدواً وحضراً ، شعوراً منه أن تأثير البيئة البدوية في الشعر والشعراء يختلف عن تأثير البيئة الحضرية .

فهناك الشعر البدوي ، وهناك الشعر الحضري ، وإن كان هذا وذاك ينتمي إلى عصر واحد ، زمنياً ، هو العصر الجاهلي . فتقسيمه الشعراء الجاهليين إلى بادين وحاضرين يعبر عن إيمانه بأثر البيئة في الشعر : لقد جعل الشعراء البدو الجاهليين عشر طبقات وجعل أصحاب المراثي ، وهم شعراء بدو ، في طبقة واحدة ألحقها بالطبقات العشر الأولى من الشعراء البدو الجاهليين ، وفصل هؤلاء جميعاً عن شعراء القرى العربية الحضريين الذين لم يدخلهم في سلم الطبقات ، وهو في قصره الطبقات على البدو من

الشعراء وحدهم ، إقرار منه بأن الشعر الجاهلي في جملته شعر بادية .

وما جعله مخضرمي الجاهلية والاسلام ، كالحطيئة وكعب بن زهير وغيرهم[1] في عداد الشعراء الجاهليين ، إلا إقرار منه بأثر البيئة البدوية الجاهلية في شعرهم ، وغلبتها على الطابع الاسلامي الجديد في حياتهم ، وفي أدبهم ؛ فقد أدرك أن النزعة الجاهلية ، تتمثل بالنزعة البدوية ، ومن هنا يبدو أن مبدأ الموازنة والمفاضلة التي قام عليها تصنيف ابن سلام للشعراء في طبقات ، قد أخذ بعين الاعتبار أثر البيئة في حياة الشاعر وفي شعره شكلاً ومضموناً .

وإن تسمية شعراء القرى العربية [المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين] بحد ذاتها إشارة واضحة إلى أن ابن سلام أدرك الصلة بين الشعر والبيئة ، بل ربط هؤلاء الشعراء بالمكان الذي نشأوا فيه وأنتجوا في كنفه شعرهم ؛ ولهذا لاحظ الدكتور محمد مندور أن عامل « المكان » كان ثاني أربعة أركان بنى عليها ابن سلام كتابه « طبقات الشعراء » ، فقال : « إن ابن سلام عندما وزّع الشعراء بين الجاهلية والاسلام ، وقسّم هؤلاء وأولئك إلى طبقات ، نظر فوجد أن هناك شعراء لم يصبحوا شعراء للعرب كافة بل ظلّوا متصلين كل بقريته ، وهم ما نسميهم بالشعراء الاقليميين ، فجمعهم في باب شعراء القرى[2] » .

إلا أن حكم الدكتور محمد مندور هذا يصح في جانب منه ولا يصح في الجانب الآخر : ـ فأن يكون ابن سلام قد اعتمد البيئة أساساً من أسس تقسيمه الشعراء وإقامة الموازنة فيما بينهم على هذا الأساس ، فهو مقياس صحيح دون ريب .

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٥ ـ ٢٧ .

(٢) النقد المنهجي عند العرب ص ٦٣ للدكتور محمد مندور ط ١٩٤٨ .

ـ أما أن يكون ابن سلام قد نظر إلى هؤلاء الشعراء فوجد أنهم لم يصبحوا شعراء للعرب كافة بل ظلوا متصلين كل ببيئته الاقليمية، فهو أمر لا تقبله الحقيقة ولا الواقع : أولاً ـ لأن شاعراً كحسان بن ثابت هو شاعر « فحل » للعرب وللمسلمين كافة، وقد طبقت شهرته الآفاق وقامت حوله الخصومات الكبيرة بين الأنصار من أهله، وبين القرشيين. وقد ارتبط إسمه بالدعوة الاسلامية وبرسالة النبي العربي (ﷺ) ؛ إذ وقف حسان غالبية شعره في الاسلام على مدح صفات النبي (ﷺ) وعلى نشر روح الرسالة الاسلامية. ويقول فيه ابن سلام : « أشعرهم حسان وهو كثير الشعر جيده وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد[1] . . » . وقال أيضاً : « ومن شعر حسان الرائع الجيد ما مدح به بني جفنة من غسان، ملوك الشام » . . [2]. وقال أيضاً : قال الحارث لمحمد أخبرني من شعر حسان فوالله لو مزج به ماء البحر لمازجه»[3]؛ فهل يصح القول أن شاعراً كحسان يقول فيه صاحب « الطبقات » أنه « حمل عليه ما لم يحمل على غيره»، ويكون شاعراً إقليمياً إقتصرت شهرته على إقليم بعينه. وهل يصح أن يصل مديحه إلى الشام، وكذلك هجاؤه، وأن يصبح شعره من الجودة والشيوع والانتشار والشهرة لدرجة أنه يمازج ماء البحر سهولة وانتشاراً وشهرة . . . ويكون بعد هذا شاعراً محدوداً بقرية أو إقليم . . وكذلك، ألم يكن أمية بن أبي الصلت من شعراء العرب كافة ؟ فهل الشعراء الذين أنزلهم ابن سلاّم في طبقاته، كانوا أبعد شهرة وأوفر جودة شعر منه ؟

هذه التسمية المستحدثة نطلقها على من عدّهم ابن سلام في عصره « شعراء القرى العربية ». فهي هنا تعني الحواضر العربية والتمدن العربي آنذاك . تعني البيئة الحضرية إجمالاً وتفصيلاً . . أما ما أطلقه الدكتور محمد مندور من تسمية « الشعراء الاقليميين » لا تفيد المعنى الذي قصد إليه ابن

(١ و ٢ و ٣) طبقات الشعراء ص ٨٤ و ٨٥ و ٨٥.

سلام إطلاقاً ؛ فهي تفيد الاقتصار والمحدودية ، وهناك الاقليم البدوي والاقليم الحضري ، أي الأقاليم قصد الدكتور محمد مندور ؟ .

ـ لقد حفل كتاب ابن سلام بملاحظات عديدة تشير إلى فطنة صاحب الكتاب ، في إدراك أثر البيئة في الشعر العربي . وكانت هذه الملاحظات عميقة الدلالة ، من ذلك قوله في حديثه عن عديّ بن زيد : « كان يسكن الحيرة ومراكز الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقه ، فحمل عليه شيء كثير »[1]، ولعل هذه الملاحظة وسواها كانت ماثلة في ذهن ابن قتيبة عندما قال عن زياد الأعجم : « وهو كثير اللحن في شعره ، ولهذا قيل له الأعجم ، ولفساد لسانه بفارس»[2]. كذلك فإن تأثر ابن قتيبة بمذهب ابن سلام هذا ، ظاهر في ما ذكره حول دخول ألفاظ فارسية إلى شعر الأعشى[3].

ومما لا شك فيه أن ابن سلام تجاوز إدراك تأثير البيئة في لغة الشعر إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير ، فتحدث عن مظاهر بيئوية وأدبية ذات تأثير وأبعاد أكثر عمقاً ، فلاحظ غزارة الشعر في بيئة دون أخرى ، إذ قال : « وبالطائف شعر وليس بالكثير ، وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الاحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنهم لم يقم بينهم ثائرة ، ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف في طرف . . »[4] ؛ وقال أيضاً في موضع آخر : « وأشعرهن قرية المدينة . شعراؤها الفحول خمسة . . »[5]. وواضح ، في هذا ، إضافة الموهبة الشعرية إلى قرية « المدينة » دون غيرها

---

(١) طبقات الشعراء ص٣١ . وأخذ ابن قتيبة هذا النص في كتابه الشعر والشعراء ص ٢٢٥ .

(٢ و ٣) الشعر والشعراء ص ٤٣٣ و٢٥٨ .

(٤ و٥) طبقات الشعراء ص ٨٣ و١٠٢ .

من القرى العربية ، فإدراك خصوصية كل بيئة ، هو إدراك لصلة الأدب بالبيئة .

وصحيح أن ملاحظات الأصمعي أشارت إلى شيء يسير من هذا الأمر ، حيث تحدث عن دواعي الشعر في قوله : « ما استدعي شارد بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخالي »[1]؛ إلا أن هذا الحكم يصدق على دواعي معان وأغراض معينة من الشعر ، ولكنه عاجز عن حصر دواعي الشعر بكل معانيه وأغراضه .

كذلك أشار الدكتور بدوي طبانة إلى ما ذهب إليه ابن سلام من إدراك لأثر البيئة في الشعر العربي حين قال : « نظر ابن سلام في البيئة وأثرها في الشعر فخصص فصلاً لشعراء القرى العربية »[2] .

وعبّر الدكتور احسان عباس في دراسته « لتاريخ النقد الأدبي عند العرب» عن إدراك ابن سلام لأثر البيئة في الشعر حين اعتبر أن ما فعله ابن سلام من حشد لشعراء القرى العربية والنظر إلى علاقة كل منهم بقريته « مقياس لا ضرر منه »[3] .

وأشار الدكتور أنيس المقدسي في كتابه « مقدمة لدراسة النقد في الأدب العربي » إلى أن كتاب ابن سلام « طبقات الشعراء»، يقوم على أسس ثلاثة آخرها « مبدأ الصلة بين الأدب والبيئة »[4]، ويذكر الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه « تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري »: إن

---

(١) فحولة الشعراء ص٤٣ ، والعمدة لابن رشيق ص ٢٠٦ الجزء الأول .

(٢) دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى القرن الثالث ص ١٣٢ ، د. بدوي طبانة .

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٨٠ للدكتور احسان عباس .

(٤) مقدمة لدراسة النقد في الأدب العربي د. أ. مقدسي ٩٥٨ / ص ٣ و ٤ (النقد القديم) .

ابن سلام يقسّم طبقاته من الشعراء « حسب المكان والبيئة[1] ، وحسب الموضوع . . المراثي ـ وحسب المذهب اليهود». وفي ذلك إشارة إلى أثر البيئة في مذهب ابن سلام النقدي .

سادساً ـ تقويم الكتاب :

وعلى الرغم من منهجية ابن سلام ، وموضوعية الأسس التي أرسى عليها مفاهيمه النقدية هذه ، فإن كتاب « طبقات الشعراء »، شأنه شأن كل كتاب قيّم ، لا يخلو من ثغرات بينة ولا يسلم من مآخذ بارزة ، فلا يسعنا أن نسلم بكل ما حمله إلينا .

أ ـ إن ابن سلام وهو يقرر نظرية الشعر الموضوع ، ويؤاخذ عليه العلماء ويجرح بأقوال الرواة ، ممن سبقوه أو عاصروه ، وقع في مثل ما عابه على ابن اسحاق ، فأضاف إلى بعض الجاهليين ، من الشعر ، ما ليس لهم إذ أورد شعراً « جاهلياً » لا يطمأن إليه ؛ كهذه الأبيات التي أوردها في مقدمة كتابه على أنها من قديم الشعر الصحيح ، وأضافها إلى المستوغر بن ربيعة ، أو إلى أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، في أخذ الليالي من المرء ، ومن السأم من الحياة ؛ حين قال : « . . . ومنهم المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد ، وبقي بقاء طويلاً »[2].

وفي موضوع آخر يروي شعراً أكثر تكلفاً لأعصر بن سعد[3].

وكذلك انخدع ابن سلام عما كان يرويه الرواة من شعر منحول حين أضاف إلى دويد بن زيد شعراً موضوعاً على لسانه[4].

كما أضاف لزهير بن جناب الكلبي ولجذيمة الأبرش شعراً آخر لا يقل تكلفاً وافتعالاً[5]. فهذه الأبيات لا بد أن تؤخذ بكثير من الحيطة والحذر.

---

(١) كتاب تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ص ١٠٦ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٢٠ ـ ٢١ وط . م شاكر ص ٢٧ ـ ٢٩ .
(٣) و٤ و٥) طبقات الشعراء ص ١٩ و ٢٠ و ٢١ وطبعة م. شاكر ص ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٢.

قد يقدّر الباحث أنها قد وجدت قبل أن يصل الشعر الجاهلي إلى الاتقان والأحكام ، ولكن لينها وأسْقافها وموضوعها ومعانيها لا تدع لها السبيل ممهدة إلى التصديق بها أو الركون إليها . وإذا كان ابن سلام بارعاً كل البراعة في دحض آراء ابن اسحاق وإسقاطها ، وكذلك في عرضه ومناقشته آراء الرواة ، وفي تقديم البراهين والثوابت التاريخية على صحة موقفه من الشعر الموضوع على لسان «عاد وثمود وحمير وتبع . . .» ؛ فإنه قد انخدع عما صنعه الرواةُ وحملوه على الشعراء في هذا الموضع . وقد أخذ الدكتور طه حسين على ابن سلام ما قبله من هذا المختلق المنحول حين قال : « . . زعم ابن سلام أنه يستطيع أن يروي لنا شيئاً من أولية الشعر العربي ، فروى أبياتاً تنسب لجذيمة الأبرش ؛ وأخرى تنسب لزهير بن جناب ، ونحو هذا . وسترى أننا نحن لا نستطيع أن نقبل هذا الشعر ، كما أن ابن سلام لم يستطع أن يقبل شعر عاد وثمود»[1] .

وبعد، فهل يعقل أن يكون ابن سلام قد أورد في « طبقاته » هذه الأبيات المختلقة ، وهو الذي أورد الحجة على أن « ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا . . ولم يجاوز أبناء نزار في أنسابها وأشعارها عدنان . . فما فوق عدنان أسماء لا تؤخذ إلا عن الكتب والله أعلم بها ، إنما معد بإزاء موسى بن عمران عليه السلام وقبله قليلاً ، فكيف بعاد وثمود»[2]، و « أعصر »[3] بن سعد بن قيس عيلان ، ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد ؟! وابن سلام الذي نظر في الشعر المسموع نظرة الشك والريب حين قال : « . . وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ، ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ، ولا

---

(١) في الأدب الجاهلي ص ١٣١ و١٣٢ .
(٢ و٣) طبقات الشعراء ص ٧ و٨ و٩ و١٩ و٦ ط. شاكر ص ٩ و١٠ و١١ و٢٩ و ٣٦ .

مثل يضرب ، ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسيب مستظرف ، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتـاب ، ولم يأخـذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد ـ إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه ـ أن يقبـل من صحيفة ولا يـروى عن صحفي »[1] ؟؟

هـل يصح أن ينقـل هذه الأشعـار مع مـا فيهـا من تكلف وافتعـال واضح ـ من « كتاب » أو عن « صحفي » ؟؟

أغلب الظن أن هذه الأبيات قد أقحمت على كتاب ابن سلام إقحاماً من الناسخ سيما وأن راوي الكتاب ، أبو خليفة الجمحي ، كان كفيفاً[2] ؛ فالشك في نسبتها إلى « طبقات » ابن سلام أحق وأصح من حملها على واضع الكتاب نفسه . .

ب ـ وإذا كان ابن سلام بارعاً كل البراعة في تناول المسائل الأدبية من جميع أطرافها ، في عصره ، كما عهدناه ؛ فإن ملكته الأدبية في تحليل الشعر وتذوقه الفني له ، لا تكاد تظهر فيما كتب ، في « طبقاته » . إن ملكته الأدبية أضعف بكثير من ملكته العلمية . وكان لنا أن ننتظر من ابن سـلام ، وقد تأخر به العهد إلى أوائل القرن الثالث الهجري ، تفوقاً عن كل من سبقه ممن نظروا في الشعر والشعراء ، فيقبل على تحليل الشعر تحليلاً عميقـاً وفسيحاً يـلائم انفساح ميـدان النقد في الأغـراض الأخرى ، ويتـوازى مع اتسـاع مختلف العلوم والمعـارف التي عرفتهـا العربيـة في عصره . ولكننـا لا نجده

---

(١) طبقات الشعراء ص ٦ وطبعة م. شاكر ص ٦ .

(٢) مـروج الذهب الجـزء الـرابـع ص ١٧٣ ، ومعجم الأدبـاء ج ٦ / ص ١٣٤ . وطبقـات الحنابلة الجزء الأول ص ٢٤٩ ، وأنباه الـرواة الجزء الثـالث ص ١٥ .

تقدم كثيراً، في تذوق الأدب خطوات عن الذين عاصروه أو سبقوه ؛ بل قد رى له أحياناً كلاماً عاماً لا يحدد ذوقاً خاصاً ، ولا يشعر بفهم النصوص الشعرية على النحو المقنع . وقلما نظفر بشيء دقيق حين نتتبع آراء ابن سلام فيما يتصل بالشعر : فأبو ذؤيب الهذلي « شاعر فحل لا غميزة فيه ولا وهن » ، وعبد بني الحسحاس « حلو الشعر ، رقيق حواشي الكلام » والبعيث « فاخر الكلام حر اللفظ » . ما هي حلاوة الكلام ؟ مارقة الحواشي ؟ ما الغميزة ؟ والوهن في الشعر ؟ كلها تحديدات يكتنفها الغموض ، مهما آمنا بصعوبة التحديد في الفنون عموماً ، وفي عصر متقدم كعصر ابن سلام خصوصاً . وقد يكون لنا حق التساؤل عن ذوق ابن سلام الفني . ما هو ؟ ما الذي يميل إليه ؟ ذلك كان لا بد من معرفته في رجل يتصدى لنقد الأدب . ولعل ما يفسر انصراف ابن سلام عن تحليل النصوص كونه اعتنى بتصنيف الشعراء في طبقات ، وكونه تربى على النقد اللغوي والنحوي في بيئة علماء اللغة من النحويين واللغويين وأهل الفقه والمنطق والحديث ؛ فهو لا يظهر عنايته بتحليل نصوص الشعراء وإبراز ذوقه الفني فيها إلا بمقدار ما يعينه ذلك على تصنيف الشاعر في إحدى الطبقات أو إنزاله في هذه المنزلة أو تلك من الجاهليين أو الاسلاميين أو أهل القرى . وهو في هذا التصنيف والتنزيل يصدر عن ذوق هو ذوق اللغويين أكثر منه ذوق الأدباء . ولا غرو في ذلك ، فهو أحد علماء اللغة البصريين .

ج ـ وفي ترتيبه الشعراء في طبقات ، مآخذ عليه ؛ علماً أن جوهر نظرية ابن سلام النقدية ، وأحد الأسس التي وطد عليها نهجه النقدي ، يقوم على نظرية « الطبقات »[1] . لقد انفرد ابن سلام من بين العلماء الذين تصدوا لتصنيف الشعراء الاسلاميين، خصوصاً الثلاثة الكبار : جرير والفرزدق والأخطل ، بإضافة الراعي إلى الثلاثة الاسلاميين هؤلاء ، وعدّه

(١) دائرة المعارف الاسلامية م ١٥ / ص ٧٨ وما بعدها (مادة طبقات) .

في طبقتهم الأولى . وهو في ذلك لم يستند إلى حجة ولم يقم دليلاً كافياً ، ولم يذكر في كلامه على الراعي شيئاً يبرر هذا التقديم : « والراعي عبيد بن الحصين كان من رجال العرب ووجوه قومه ، وكان مع ذلك بذيئاً هجّاء لعشيرته . . وكان يعد هجاء جرير له مغلباً . قال رجل من قومه : علّامة وراوية ، فصيح ، كان فحل مضر ، ضعمه الليث ، يعني جريراً . ولقد هجا الراعي فأوجع »[1] . وهذا يعني أن ابن سلام لم يجد مبرراً لجعل الراعي في الطبقة الأولى من الاسلاميين إلا ما كان يجمع بين الثلاثة الأول وبينه من قدرة على الهجاء « الموجع » . والمقياس الذي اعتمده في « طبقاته » هو كثرة الشعر وجودته وتعدد أغراضه ، من جهة ، ومن جهة ثانية ، احتجاج أهل العلم بشعره ، ورأي العلماء والرواة ، وأهل الجماعة فيه . فالواضح أنه جانب « القاعدة » التي اتخذها واعتدّ بها ، فيما يتصل بتصنيف « الراعي » من الدرجة الأولى . ونحن نجده قد راعى ذلك حيناً وأغفله حيناً آخر . فليس من شك في أن الحطيئة جدير بأن يكون من شعراء الطبقة الثانية كما وضعه ابن سلام . فأما جدارة كعب بن زهير لها فذلك موضع نظر . فابن سلام لا يكاد يعرف لكعب إلا قصيدته « بانت سعاد . . . » وهي بلا شك ، من غرر الشعر العربي ، وما في ذلك جدال ، إلا أن موضوع الجدل يكمن في مخالفة ابن سلام نفسه للقاعدة التي استنها لتصنيف الشعراء في طبقات . والأمر يرجع بنا ، هنا ، إلى طرفة بن العبد ولبيد ، مثلاً : فمعلقة طرفة من عيون الشعر العربي، وقد نالت إجماع العلماء حيث قال ابن سلام : « وهو أجودهم طويلة » ، ثم له بعد المعلقة « قصيدة أخرى مثلها » ، ثم له بعد ذلك « قصائد حسان جياد » ، وفي كلامه على طرفة يقول أيضاً : « . . . وأما طرفة فأشعر الناس واحدة ، وهي قوله :

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٧٣ و١٧٤ .

لخـولـه اطـلال بـبـرقـة ثـهـمـد
وقـفـت بهـا أبـكـي وأبـكـي إلى الـغـد[1]

فإذا كانت تلك عبارات ابن سلام نفسه ، فلماذا إذن ، وضع طرفة في الطبقة الرابعة ؟ وهو ككعب « إجادة » ، وقد يكون أكثر منه شعراً ، بالنسبة لما عرفه ابن سلام عنه ، فإذا حاولنا أن نعرف لماذا وضع لبيداً في الثالثة وطرفة في الرابعة ، لما اهتدينا إلى سر ذلك ، ولما اقتنعنا بدليل ، سوى خروج ابن سلام ، عن « **قواعده الطبقية** » ، إلى **ذوقه الخاص** . ولو حاولنا أن نعرف لماذا وضع **عمرو بن كلثوم** ، **والحارث بن حلزة** ، **وعنترة العبسي** ، **وسويد بن أبي كاهل في الطبقة السادسة** ، في حين وضع في الخامسة شعراء دونهم شهرة ونباهة ذكر ، لم نعثر على تعليل يشفي ؛ علماً أن ابن سلام يعرف أن الثلاثة الأولين من رجال القصائد السبع ، وأن ابن أبي كاهل هو صاحب « اليتيمة » ؟

وقد حدث هذا أيضاً في طبقات الشعراء الاسلاميين ، حين وضع الأحوص ، وعبيدالله بن قيس الرقيات في السادسة ، ووضع في الخامسة « أبو زبيد الطائي ، واسمه حرملة بن المنذر ، والعجير بن عبدالله السلولي ، وعبدالله بن همام السلولي ، ونفيع بن لقيط الأسدي . . »[2] . وكذلك وضع في الرابعة أيضاً ، نهشل بن دارم ، وحميد بن ثور الهلالي ، والأشهب بن رميلة ، وعمر بن لجأ التيمي من تيم الرباب »[3] . وهؤلاء وأولئك هم دونهم « جودة » شعر و « كثرة » فنون .

ولعل الأيام هي التي أبلت شعر من قدّمهم ابن سلام من الشعراء ، ولا نراهم اليوم في المقدمين. غير أن ذلك إن صح في الشعراء الجاهليين ،

---

(١) طبقات الشعراء ص ٥٠ .
(٢ و٣) طبقات الشعراء ص ١٩٦ و١٩٢ .

فمن العسير أن يصح في الاسلاميين منهم .

والواقع أن ابن سلام قد اضطرب كثيراً في منازل الشعراء . ولعل سر هذا الاضطراب قد أصبح مفهوماً ؛ فليس من الرأي في شيء أن يكون الشعراء ، عشر طبقات ؛ وليس من الممكن بحال أن نعرف من الفروق بين الشعراء ما يمهد لنا أن نوزعهم على « طبقات » عشر . إذ أن الخصائص الفنية دقيقة جداً؛ فقد لا تطيع الباحث على هذا النحو . وإنما الذي عليه « جمهرة العلماء » ، والذي يرضاه المنطق ، أن يصنف الشعراء تصنيفاً في ثلاث طبقات : مبرزين ، ومتوسطين ، ومتأخرين .

فلو فعل ابن سلام مثل ذلك لكان أصوب وأيسر ولما اضطر أن يسرد الشعراء سرداً دون شاهد أو دليل في الطبقات الأخيرة .

ومع أن ابن سلام أجاد كل الاجادة في تفرقته بين الشعراء الجاهليين من سكان البادية والجاهليين من سكان « القرى العربية»، إلا أن ذلك أخلّ بشيء من رسم الكتاب؛ إذ أنه لم يتعرض لمكانة الشعراء من أهل القرى ، ولم يذكر لنا منزلة شاعر كبير كحسان بن ثابت الأنصاري بين الشعراء عموماً .

د ـ لقد أهمل ابن سلام بعض فحول الشعراء كعمر بن ربيعة ، والطرماح بن حكيم ، والكميت الأسدي ، ومكانتهم لا تنكر بين الشعراء الاسلاميين . ولسنا ندري كيف جاء بشامة بن الغدير وأبو زبيد الطائي في طبقات الشعراء الاسلاميين مع أنهما جاهليان ، أهو على أيدي من نقلوه إلينا ؟ أم هو من اختلاط الأمر على صاحب الكتاب نفسه ، سيما وأنه يؤكد في مقدمة الكتاب على أنه واضع «طبقات الشعراء الاسلاميين » على قياس « طبقاته » من الشعراء الجاهليين ؟ « . . ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين ، فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا

له من حجة وما قال فيه العلماء وقد اختلف الرواة فيهم ، فنظر قوم من أهل الشعر والنقاد في كلام العرب والعلم بالعربية ، إذ اختلف الرواة وقالوا بآرائهم وقالت العشائر بأهوائها فلا يقنع الناس في ذلك إلا الرواية عمن تقدم فاقتصرنا في هذه على فحول الشعراء الاسلاميين للاستغناء عن فحول شعراء الجاهليين بطبقاتي المؤلفة في ذلك . ورتبت هذا المؤلف على عشر طبقات ، كل طبقة تجمع أربعة من فحول شعراء الاسلام . .»[1]؛ أم أن هذا الاختلاط يعود إلى راوي الكتاب ؟[2] .

هـ ـ وهناك ظاهرة تسترعي الانتباه ، وهي أن ابن سلام الذي عاش في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري لم يتصد لذكر الشعراء الذين عاصروه من أمثال بشّار وأبي نواس ومروان بن أبي حفصة ، ومسلم بن الوليد ، وأبي تمام ، خصوصاً وأنه عرف بشاراً واتصل به وسأله[3] . وكما ذكرت ذلك كتب التراجم والأخبار[4] ، فهو لم يحاول أن يصنفهم في طبقات كما فعل بالشعراء الجاهليين والاسلاميين . وكذلك لم يصرح برأيه في أحد منهم . وقد حاولت أن أجد تعليلاً لذلك الاغفال بما يلي :

١" ـ قد تكون العلة كامنة في أسلوب ابن سلام نفسه ، في كتابه

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٦ .
(٢) أبو خليفة الفضل الجمحي وكان راوية للأخبار والأشعار والأنساب والآداب ، وكان ثقة عالماً روى عن الأئمة الكبار كأبي الوليد الطيالسي وأحمد بن حنبل وله أخبار كثيرة ونوادر ؛ وكان يكثر السجع في كلامه ، عادة من غير تكلف : ميزان الاعتدال ج ٢ / ص ٣٢٩ .
(٣) طبقات الشعراء ص ١٧٢ : حين سأله عن جرير والفرزدق والأخطل .
(٤) لسان الميزان ج ٥ / ص ١٨٢ ، ومعجم الأدباء ج ٧ / ص ١٣ ، وأنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ج ٣ / ص ١٤٣ ـ ١٤٥ تحت رقم ٦٥٢ .

« طبقات الشعراء » الذي وجدناه يستع
بآراء العلماء الذين يثق بهم ، ويعتد
تراثهم الشعري ملكاً للعلماء والنقاد
الذين عاصرهم ، ابن سلام ، فلم
ليعتمد عليها ويأخذ بها»[1].

٢" ـ ولعل أولئك العلماء ،
قد يناهم من أولئك الشعراء من
بالنقد والتحليل والاشارة إلى مواط
يمتهنها الشعراء »[2] . والأمثلة على
كثيرة ، فقد انتقد الأخفش بشار
القصارين . متى كانت اللغة
وإياه»[3] ؛ فيبلغ ذلك التهديد
« الأعمى » الذي يعرف فحش
بشار ليكذبوا عنه ويسألوه ألا
عرضه » ؛ فكان الأخفش بعد ذلك
فيكف عنه . ولعل مثل هذا هو
القول في شعر معاصريهم من الشع
ابن سلام عن ذكر معاصريه من
موقف رافض للشعر المولد . وإن
الجاهلية .

(١ و ٢) دراسات في نقد الأدب من الجاهلية حتى القرن الثالث ، للدكتور بدوي طبانة ص ١٣٦ .

(٢) أمالي المرتضى ج ٢ /ص١٣١ ، وطبقات ابن المعتز ص ٢٠ ـ ٢٩ ، والأغاني ج ٣ / ص ١٦٢ ـ ١٩٦ .

يفه ، ويستظهر على آرائه
شعراء قضوا نحبهم ، وغدا
ما شاؤ وا»، أما الشعراء
فيهم قد تبلورت بعد ،

حد منهم ، كانوا يخشون مما
منقذع إذا عرضوا لشعرهم
فيه ، « فضنوا بأعراضهم أن
علماء الذين حاولوا مثل ذلك
: « ويلي على القصّار ابن
بيوت القصارين ؟؟ دعوني
أبكي ، لأنه وقع في لسان
هجوه . فيذهب أصحابه إلى
بشار : « قد وهبته للؤم
نتبه بشعر بشار ليبلغه ذلك
علماء ، ومنهم ابن سلام ، عن
ن يبدوا آراءهم فيه . ـ أعرض
لأنهم من المولدين . وللعلماء أمثاله
مذهم ما حافظ على الروح

و ـ لا يسعنا أن ننكر تلك الروح العلمية التي تهيأت لابن سلام ، في
اولته تفسير الظواهر الأدبية ، ومنها حديثه عن « شعراء القرى العربية » ،
علیله لقلة الشعر في مكة وعمان والطائف ، وكثرته بالمدينة والبحرين ،
حديثه عن « شعراء المراثي » ، الذين تخصصوا بفن من فنون الشعر
عينه ، فجعلهم في طبقة بعينها[1] ؛ وجعل إمامهم متمم بن نويرة :
: والمفضل عندنا متمم بن نويرة »[2] . إلا أن تعليله هذا في تفسير الظواهر
الأدبية ، وإن كان قد أخذ بعوامل المكان والزمان وبعض العناصر
الذاتية ، فإنه لم يقم على أسس موضوعية مقنعة ، فقوله : « وإنما كان يكثر
الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء، نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم
يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ، ولم
يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان»[3] : لأن الشعر ليس كله في الحروب
ولا هو مقصور عليها ؛ فقد يكون صحيحاً أن الحروب بين الأحياء والقبائل
تثير الحماسة في نفوس الشعراء وتذكي الحمية لديهم ، مما يبعث على
القول ، إلا أن ذلك قد لا يتعدى غرضاً من أغراض الشعر ، وهو لا
يصيب جميع أغراضه . ومن لثابت أن الغزل قد ازدهر كثيراً في الحجاز بمكة
كما ازدهر وانتشر الغناء ، وكان للغزل شعراؤه الكبار كعمر بن أبي ربيعة ،
وهو الذي لم يأت على ذكره ابن سلام في « طبقاته » . كذلك عرفت مكة
وغيرها العديد من شعراء الغزل والغناء ؛ وهذا ما يوحي بأن الشعر لم يكن
نادراً في مكة أو غيرها من القرى العربية كما ادعى ذلك ابن سلام في حديثه
على شعراء القرى العربية . والواقع أن ابن سلام لم يلتفت إلى عامل
الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي وما حمله من ترف اجتماعي إلى
تلك الأمصار العربية في ذلك العهد الاسلامي الزاهر . علماً أن ذلك من
أهم العوامل التي تبعث على تنشيط الأدب وتؤدي إلى تشجيع قول الشعر

(١ و٢ و٣) طبقات الشعراء ص ٧٨ و٧٨ ـ ٩٠ و١٠٢ .

وتساعد على تحرره من حيث الشكل والمضمون ؛ فتغني موضوعاته وتنوع أغراضه وتطور أساليبه .

وفي حين نراه يصرح بأن لين شعر عدي بن زيد ، وعذوبته ، يتأتى من أنه سكن الحيرة ومراكز الريف ، في موضع من « طبقاته » ؛ نراه في موضع آخر يصرح بأن « الفرزدق ينحت من صخر «وجرير» يغرف من بحر » فلا هذا ولا ذاك يكفي لتعليل السبب : فالبيئة التي عاش في كنفها عدي بن زيد ، فعلت فعلها في تليين شعره ؛ بينما غلب طبع الفرزدق وجرير تطبعهما البيئوي وانتصر العامل الذاتي على عامل البيئة . فالواقع أن العوامل الذاتية والعوامل الموضوعية جميعاً لها أثرها ودورها في تكوين شخصية الشاعر وأسلوبه ومواضيعه ، وهي تلقي بظلالها المتنوعة على مجمل إنتاجه الفني ، وقد يبدو أحد العناصر أو الظلال أكثر بروزاً وأشد تأثيراً من العناصر الباقية في تكوين هذا الشاعر أو ذاك ، تبعاً لأسباب متباينة .

ز ـ وكذلك اضطربت مقاييس ابن سلام النقدية ، عندما قدم عامل الكثرة على عامل الجودة وقدم أساس تنوع الأغراض الشعرية ، على أساس التخصص بفن واحد : كالنسيب أو الرثاء . وهو ما تقود إليه ، بعض الشعراء ، ظروف حياتهم ونشأتهم واستعدادهم الذاتي . « وكان لكثيّر في التشبيب نصيب واقر وجميل مقدم عليه في النسيب وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ، وكان جميل صادق الصبابة ، وكان كثيّر يقول ولم يكن عاشقاً وكان راوية جميل »[1] ؛ فلأن كثير واسع التصرف في فنون الشعر وله فيها « ما ليس لجميل » وضعه ابن سلام في الطبقة الثانية من الشعراء الاسلاميين . ووضع جميل في السادسة ، رغم أن جميل مقدم على كثيّر في النسيب ، وإن كان جميل « صادق الصبابة » وكثير يقول ولم يكن عاشقاً ، وكان راوية جميل[2] . إلا أن « الكثرة » ليست مقياساً وحيداً لتقديم الشعراء بمفهوم ابن

(١ و٢) طبقات الشعراء ص ١٨٤ .

سلام النقدي ، رغم رأي الدكتور مندور في ذلك ،إذ قال : « أما عن تفضيله الكثرة على الجودة وتعدد الأغراض الشعرية على التوفر على الفن الذي تجرنا إليه ملابسات حياتنا ، ففي ظننا أنه من الواضح أن الكم ليس مقياساً صحيحاً لقيم الشعراء ، وإلى هذا ، فطن ابن قتيبة »[1]..

وهكذا احتج ابن سلام برأي جمهرة العلماء بالشعر واللغة ممن سبقوه أو عاصروه كما احتج بما وجد للشاعر من حجة في شعره ، جودة وكثرة وتنوعاً ، في فنون القول . ومع هذا فقد أصاب مرة في تنزيل الشعراء منازلهم وأخطأ مرة اخرى في تعليل الأسباب ، تقديماً أو تأخيراً ، لهذا أو ذاك من الشعراء .

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ١٩ .

الباب السادس

وازنة بين مذهب ابن سلام النقدي ومذهب معاصره الجاحظ

١" ـ أسبقية « طبقات الشعراء » على « البيان والتبيين » :

لولا أنه قد تجمعت لدينا من الأسباب والثوابت ، ما يحملنا على الاطمئنان إلى أن « طبقات » ابن سلام هو أقدم الآثار الباقية ، التي تعرضت للنقد وتاريخ الأدب عند العرب ، وأنه برز إلى عالم الحياة قبل كتاب « البيان والتبيين » ، أول مؤلف معروف في موضوعه ، لكان من الممكن القول : إن كتاب الجاحظ هو أقدم الآثار الأدبية التي تصدت للنقد الأدبي عند العرب ، فيوضع قبل كتاب ابن سلام ، في تسلسل تاريخ النقد الأدبي ، بحكم النظر الدقيق في موضوعه ، وترتيبه ، ومنهج مؤلفه فيه . فالمؤلفان ، لعالمين أديبين عاصر كل منهما الآخر عهداً مديداً من العمر : فابن سلام عاش (من سنة ١٣٩ إلى سنة ٢٣١ أو ٢٣٢ هـ)، وامتدت الحياة بالجاحظ من (سنة ١٥٩ إلى ٢٥٥ للهجرة)[1] .

إلا أن هذا الترجيح مردود ، لأنه من الثابت أن الجاحظ بلغ من النبوغ العلمي والأدبي حداً يصبح من غير المعقول أن يغفل عنه عالم محقق

---

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الانباري ص٢٥٤ ،ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١٦ / ص٧٤ ،وأمالي المرتضى ج ١ / ص ١٩٤ .

كابن سلام ، وله كل هذا المجد الأدبي، وهذه الشهرة العلمية الرفيعة ، سيما وأن ابن سلام عاش بالبصرة وترعرع في بيئتها العلمية والأدبية . وكذلك ، بالبصرة كان الجاحظ ، وفيها لمع نجمه وذاع صيته[1] . ومما لا شك فيه ، أنه صادفه عندما كان يختلف إلى حلقات العلماء في المسجد الجامع ليأخذ عن علماء اللغة ، أو بينما كان يغدو على المربد ليسمع من الاعراب الفصحاء[2] . فليس من المعقول أن يتجاهل ابن سلام ذكر « بيانه » والاحتجاج بآرائه فيه ، وهو الذي استعان على أحكامه في الشعر والشعراء بآراء الكثير من العلماء والأدباء ، ممن عاصروه أو سبقوه .

والدليل المادي على أن « بيان » الجاحظ تأخر عن « طبقات » ابن سلام ، هو أن الجاحظ نقل عن ابن سلام ثلاث مرات في ثنايا كتابه « البيان والتبيين » :

أ ـ « قال محمد بن سلام الجمحي : كان عمر بن الخطاب رحمه الله إذا رأى رجلاً يتلجلج في كلامه قال : خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد »[3] .

ب ـ « قال محمد بن سلام عن بعض أشياخه ، قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر »[4] .

ج ـ « قال محمد بن سلام : قال يونس بن حبيب : ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاء عن رسول الله ﷺ »[5] .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص١٦٩ ،ومعجم الأدباء ج ١٦ / ص ٧٥ .
(٢) معجم الأدباء ج ١٦ / ص ٧٥ وما بعدها .
(٣ و٤) البيان والتبيين الجزء الأول ص ٣٢ و١٦٥ .
(٥) البيان والتبيين الجزء الثاني ص ٤٥ .

فالجاحظ احتج بما نقله عن ابن سلام من أخبار ليدعم رأيه في « باب التلجلج » .

ولم يقف أخذ الجاحظ عن ابن سلام عند حدود ما ورد ذكره في « البيان والتبيين » ، بل إن هنالك نقولاً كثيرة وروايات أثبتها في كتابه « الحيوان » . فلولا تلك الأدلة المادية لكان النظر في الكتابين يهدي إلى أسبقية «البيان والتبيين » على « طبقات الشعراء » ؛ ذلك لأن الجاحظ تناول فيه أكثر الفنون الأدبية ، وأركانها ، وأشار إلى ما حسن منها ، وما قبح ، بأسلوبه المعروف الذي يغلب فيه الاستطراد ، والانتقال من موضوع إلى آخر ، فقد حشد فيه كثيراً من نصوص الأدب ، وفنون الكلام من الرسائل والخطب والأشعار والأخبار ، وما سجله مما يحفظ ويروى من أقوال الرواة والمحدثين ، حتى وصفه أبو هلال العسكري بأنه أكبر كتب البلاغة وأشهرها ، وبأنه كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه « من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبّه إليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ونعوته المستحسنة »[1] .

٢" ـ منهجية التأليف :

إن الدراسة الأدبية التي يقدمها الجاحظ في « بيانه » ليست سهلة ميسرة ، مهيأة في مواضعها ، مركزة في أبوابها؛ بل إن الباحث عن أفكار الجاحظ وآرائه في « البيان » يواجه الكثير من العنت ، إذ عليه أن يستوعب كتب الجاحظ جميعاً ، حتى يستطيع أن يجمع تلك الأفكار والآراء ، ويضم الإلف إلى ألفه منها ، حتى تتضح له فيما بعد ، الأفكار المبثوثة في مواضع متفرقة . وذلك بسبب ما أصاب الكتاب من الخلل والاستطراد ، إذ ألّفه

---

(١) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٤ ـ ٦ .

بعد تأليفه كتاب « الحيوان »[1] الذي يعترف فيه بأن مرضه قد أدخل الخلل عليه ، فلما طالت عليه العلة ألّف « بيانه » فظهر فيه الخلل والاستطراد بأوسع مما ظهر في كتاب « الحيوان »[2] . والجاحظ يعترف بهذا حين يقول في « بيانه » : « كان التدبير في أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الاسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم ، خطباء ، ونقسم أمورهم باباً ، باباً ، على حدته ، ولكني لما عجزت عن نظمه وتنضيده ، تكلفت ذكرهم في الجملة »[3] . ولعل الجاحظ اطلع على منهج ابن سلام في تأليف « الطبقات » وأخذ ذلك عنه .

ـ أما كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلام ، فإن الغاية منه قد حددها مؤلفه في المقدمة ، ورسم المنهج الذي سيسلكه لتحقيق هذه الغاية . وهو واضح كل الوضوح : النظر في الشعر ، ورأى أهل العلم فيه ، عدّة الناقد من المعرفة به كثرة المدارسة له ، ثم تحقيق النصوص الشعرية ، والفحص عنها ، وإخراج الأصيل من الدخيل منها ؛ ثم النظر فيها ، والرواية عمن سبقه من العلماء المحققين الموثوقين ، والاستناد إلى الرأي والحجة في إقامة المفاضلة والموازنة بين الشعراء وتقسيمهم إلى درجات أو طبقات بحسب وفرة الانتاج الأدبي ، وجودته ، وتعدد أغراضه ، مدركاً الصلة القائمة بين الأدب والبيئة ، بين الشاعر ونشأته ، بين الشعر والمكان الذي يصدر عنه والدواقع الذاتية والموضوعية التي تفعل فعلها بمظاهر الأدب ، وتعين على كثرة الشعر ، أو تقلله ؛ مستدلاً بالبراهين العقلية والنقلية في تسفيه أخبار بعض الرواة الذين تكلفوا القول وحملوا على الشعراء

---

(١) البيان والتبيين ج ٣ / ص ٣٠٢ .
(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي ـ شوقي ضيف ص ١٦٨ .
(٣) البيان والتبيين ج ١ / ص ٣٠٦ .

ملاً كثيراً . كما أنه فطن إلى دور اللغة في التعبير الفني عن مشاعر الشاعر ، ميّز بين يسر النثر وصعوبة نظم الشعر . وعرض لبعض دروس النحو واللغةوالجدل القائم بين علمائها كما عرض لنشأة العروض ، ووجوه الاختلاف في اللهجات بين القبائل والأمصار ، ولوجوه القراءات .

٣" ـ كلاهما سجل للأخبار وآراء الرواة والعلماء :

لقد أظهر الجاحظ في « بيانه » قدرة فائقة على الحفظ والرواية ، وقد جعل كتابه سجلاً حافلاً بالأخبار والروايات عن أهل العلم ، والرأي ، بالأدب والبلاغة والخطابة والشعر واللغة . وكتابه يشبه كتاب ابن سلام ، في حشد كثير من الآراء لغيره من الرواة وعلماء اللغة والأدب والشعراء . بل إن كتاب الجاحظ يفضل « طبقات » ابن سلام من هذه الناحية ، ويفوقه استشهاداً ؛ فالجاحظ كان يقصد إلى الرواية إذا لم يجد طريقاً لتطبيق المنهج الداخلي والتاريخي على النص الأدبي . وكان يذهب إلى أبعد من ذلك فيناقش قيمة الرواية وقيمة رواتها في سبيل تثبيت أو تصويب نص من النصوص ؛ فها هو يشك في شاهد النحويين :

* عاديتنا لا زلت في قباب عداوة الحمار للغراب *

فيعلق عليه قائلاً : « ولا أدري من أين وقع هذا إليهم »[1] .

وإذا كان من فرق بين الجاحظ وابن سلام في هذا المجال ، فهو أن ابن سلام كان حريصاً الحرص كله على أن يسند كل قول إلى قائله ، وأن الجاحظ كان قليل الحرص على هذا الاسناد بالقياس إلى ابن سلام . وهناك فرق آخر بينهما هو أن الينابيع التي استقى منها ابن سلام أخباره ومروياته ، هي ينابيع عربية صرفة . أما الجاحظ فقد نهل من تلك الموارد العربية ، ومن غيرها ، فحشد كثيراً من النصوص المأثورة في الأدب ، وحدد البلاغة

(١) كتاب « الحيوان » للجاحظ ج ٦ / ص ٢٨٠ .

عند غير العرب ، أيضاً ، كالفرس والروم واليونان والهنود ، ونقل كلماتهم ، وتعريفاتهم ، وتصورهم للبيان ، أو الفن الأدبي عموماً[1] .

٤" ـ مسألة الانتحال وتحقيق النصوص :

عرفنا أن ابن سلام أدرك أهمية تخليص الشعر الصحيح من المنحول ، وتحدثنا عن الجهود التي بذلها في سبيل تحقيق النصوص الشعرية ، وعن نظريته في رفض الشعر الموضوع ، وفي تسفيه ما رواه ابن إسحاق على لسان عاد وثمود وحمير وتبع من شعر مفتعل ملفق ، مستنداً إلى الأدلة العقلية والنقلية في رد هذه المرويات الزائفة ، إلا أنه رأى من العسير اكتشاف ما نحله البدو من العرب ، وما نحله أبناء الشعراء وما نحله أهل العلم بالشعر لمشاكلته للشعر الصحيح[2] . فإذا أشكل على ابن سلام كشف ما نحله العرب من البدو أو من ولد الشعراء للشعراء الأوائل ؛ فهل يمكن أن يشكل على الجاحظ اكتشاف أمره؟ فالجاحظ وضع نظرية منهجية ، تقوم على النقد والتحليل ، لكشف الشعر المنحول وتحرير النصوص الأدبية منه ؛ وأهم مقومات هذه النظرية :

أ ـ نقد تحليلي للنص : يتناول هذا النقد المفردات وطريقة استعمالها وأساليب الصياغة والنظم ، كما يقوم على الدربة « وكثرة المدارسة » للشعر الصحيح لهذا العصر أو ذاك ، ولهذا الشاعر أو ذاك ، ومقارنة الأصيل من شعر الشاعر بالشعر الزائف ، المحمول عليه ، حتى يخلص إلى تحرير الصحيح من المصنوع المنسوب إليه : لقد نظر أبو عثمان في تشابيه الجاهليين ، وقارن هذه التشابيه ، في الشعر المسموع ، بتشابيه الشعر الجاهلي

---

(١) البيان والتبيين ص ٥٥ ـ ١٥٠ ج ١ ، وص ٢٠٦ وبعدها إلى الآخر من الجزء الأول .

(٢) طبقات الشعراء ص ٢٣ وط. م. شاكر ص ٣٩ ـ ٤٠ .

صحيح . فقال : « . . وضعت الرواة في هذا الشعر الذي أضفتموه إلى
ر بن حازم من قوله :

والعير يرهقها الحمار وجحشها
ينقض خلفهما انقضاض الكوكب *

فزعموا أنه ليس من عادتهم أن يصفوا عدو الحمار بانقضاض
كوكب ولا بدن الحمار ببدن الكوكب »[1] ؛ ومثل هذه الأمثلة من
لمقارنات كثير عند الجاحظ .

ب ـ نقد تاريخي للنصوص : وتقوم دراسة الجاحظ للنص من الناحية
لتاريخية على منطق الجدل في محاكمة الوقائع والقرائن التي تتناولها تلك
النصوص أو تتصل بها ؛ فالوقوف على معرفة العلل والأسباب وصولاً إلى
النتائج عن طريق الاستدلال التاريخي . فانتفاء المبرر المقبول يدعو الجاحظ
إلى الشك في ظهور مثل هذه النتائج قبل رجود مسبباتها .

فمثلاً : ان مسألة الشهب والنيازك التي تسقط بين الحين والآخر هي
ظاهرة صاحبت ظهور الاسلام أو قبله بقليل ، بمعنى أن الشعراء أدركوا هذه
الظاهرة في هذا العهد بالذات ، وأخذوا يستعملونها « للقذف والرجم » إلى
أن استشهدوا ببيت منحول للأفوه الأودي .

فتناول الجاحظ هذه المسألة قائلاً : « أما ما رويتم من شعر الأفوه
الأودي ، فلعمري إنه لجاهلي ، وما وجدنا أحداً من الرواة يشك في أن
القصيدة مصنوعة ، وبعد ، فمن أين علم الأفوه أن الشهب التي يراها إنما
هي قذف ورجم ، وهو جاهلي ، ولم يدع هذا أحد قط إلا المسلمون»[2] فهذا
دليل آخر على أن القصيدة مصنوعة . وهذا الأسلوب في الاستدلال

---

(١) الحيوان ج ٥ / ص ٦٩ ـ ١٧١ .
(٢) الحيوان ج ٦ / ص ٢٧٩ .

التاريخي سبقه إليه ابن سلام عندما رفض ما رواه ابن إسحاق (في السيرة) من شعر لعاد وثمود وحمير وتبع . فاعتمد ابن سلام على الدليل العقلي ، والاستدلال التاريخي ، والدليل النقلي ، فاحتج بما ورد ذكره في القرآن الكريم من أن عاداً وثمود قد بادوا ﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى ﴾ ـ سورة النجم ٥١ ـ .

ج ـ كذلك عمد الجاحظ كما عمد ابن سلام من قبله إلى اعتماد الرواية ، فهو يأخذ عن الرواة بعد أن يناقش قيمة هذه الرواية ، ويشير إلى مكانة الراوي من أجل إثبات صحة نص من النصوص أو تصحيح نص آخر .

٥" ـ الموقف من الشعر والشعراء :

أ ـ وقف ابن سلام في « طبقاته » ، موقفاً ، من الشعر يختلف فيه ، مع موقف الجاحظ منه : فلابن سلام مفهومه عن الشعر حدده في مقدمته[١] ؛ وفي عرفه أن الشعر العربي هو الشعر البدوي وهو المثال ، والنموذج الأصيل ، بالمقارنة مع غيره. ولذلك قدّم الشعراء الجاهليين في حديثه على الشعراء . كذلك لم يعدّ ابن سلام من الشعر الجيد ، كل شعر « لا حجة في عربيته » ، ولا أدب يستفاد منه ، ولا « معنى يستخرج منه » ، ولا مثل يضرب، و«لا مديح رائع ، ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسيب مستطرف »[٢] . فمفهومه للشعر هو مفهوم جمهرة العلماء المحافظين على الأصول وعلى صحة اللسان العربي ،. وعلى السليقة الصافية ، وعلى أن يكون الشعر صالحاً للاحتجاج ، والاستشهاد به ، في ضبط قواعد النحو واللغة، ومضرب الأمثال في البلاغة والفصاحة . ولا غرو في ذلك . فابن سلام أحد علماء اللغة والنحو بالبصرة .

(١ و٢) طبقات الشعراء ص ٥ و٦ .

والجاحظ أديب متحرر مقبل على كل جديد في الفكر والعلم والثقافة والفلسفة ، خصوصاً وأنه كان أحد مشايخ « المعتزلة » وصاحب مدرسة في الاعتزال ، لذلك كان أول من تصدى لمواجهة النقد التقليدي القديم ، ورفض أسسه ، فقد رفض نظام الطبقات في تصنيف الشعراء والأدباء ، ورفض تفضيل أهل اللغة والنحو للشعر الجاهلي ، وأولى الصورة الشعرية وجودتها كل الاهتمام ، ولم يتقبل النص الجاهلي دون مناقشة ، ولم يقدمه فقط لأنه بدوي الشكل والمضمون ، وأقبل على تقدير المعاني الشريفة التي تصلح للشاهد ، والمثل في الصورة الشعرية ، وسخر من الشعر الذي يخلو من هذه المعاني السامية[1] .

لقد سخر من بيتي العميّ حين قال : « وصاحب هذا الشعر لو غبر مع امرىء القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى ثم مع جرير والفرزدق والراعي والأخطل ثم مع بشار وابن هرمة وابن أبي تيمية ويحيى بن نوفل وأبي يعقوب الأعور ، ألف سنة ، لما قال بيتاً واحداً مرضياً أبداً »[2] . وعلق على البيتين التاليين :

« ولا تحسبن الموت موت البلى
فإنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا
أفضع من ذاك لذل السؤال »

قائلاً : « وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ـ ومن في المسجد يوم الجمعة ـ أن كلف رجلاً أحضر دواة وقرطاساً حتى كتبها له وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً ، ولولا

---

(١) الحيوان ج ٦ / ص ٢٨٤ .
(٢) الحيوان ج ٦ / ص ٢٨٤ .

أن أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أن ابنه لا يقول شعراً أبداً »[1] .

ولعل الجاحظ يوافق ابن سلام في تعريف الشعر بأنه « صناعة » حين يقول : « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير الألفاظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير »[2] .

واتفق الجاحظ مع ابن سلام في تحديد طبيعة الشعر والتفريق بين الشعر والنثر . فابن سلام يقول في هذا المجال ما يلي : « والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر ، والشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي ، والمتكلم مطلق يتخير الكلام . . »[3] . أما الجاحظ، فيقول في ذلك : « والشعر لا يستطاع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل ومتى حوّل ، تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب فالكلام المنثور المبتدأ على ذلك ، أحسن وأوقع من المنثور الذي تحول عن موزون الشعر . . »[4] .

وبينما التزم ابن سلام بأصول النقد التقليدي المحافظ لا يخرج فيه على رأي علماء اللغة ، وأهل العلم بالشعر ، ورأى ثقاة الرواة ؛ واعتمد النظرية الطبقية في تصنيف الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين . فإن الجاحظ رفض هذه الأصول ، وتلك النظرية ، واعتمد مذهباً حراً في النقد يقوم على التحليل المنهجي للنصوص، وتذوق ما توحيه من ظلال الأدب ، وما تحمله

---

(١) الحيوان ج ٥ / ص ٣١٥ .

(٢) الحيوان ج ٣ / ص ١٣١ .

(٣) طبقات الشعراء ص ٢٧ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ / ٢٩٥ .

من لذة فنية ومعان شريفة : فالجاحظ لم يعتمد في تقديم الأدب على أن القديم منه هو المثال ، والأساس ، ولم يعتبر في الأدب القديم لأنه يمثل الشاهد النحوي ، أو اللغوي ، ولا عامل البرهنة فيه على عربية القرآن الكريم ، والحديث الشريف ؛ بل جل ما اعتد به في النقد الأدبي ، تقويم الصورة الفنية في الأدب من حيث التذوق الأدبي متشبعاً بروح العصر ؛ تتمثل لديه الجودة في الشعر ، في جودة التصوير الفني أنّى وجد هذا التصوير المبدع . سواء في الشعر الجاهلي أو الأموي أو العباسي الحديث . فالشاعر عنده قد يجيد سواء أكان جاهلياً أم إسلامياً . فالقيود والمقامات الجامدة قد تحطمت عند الجاحظ حيث يقول : « والقضية التي لا احتشم فيها ، ولا أهاب الخصومة فيها أن عامة شعراء العرب ، والأعراب ، والبدو والحضر ، من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى من المولدة (. . .) وليس ذلك بواجب في كل ما قالوه وقد رأيت أناساً منهم يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها ، ولم أر ذلك قط إلا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروى ، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ، ممن كان وفي أي زمان كان »[1] . وكأن ما ذكره الجاحظ من تحديد للشعر والجودة بعيداً عن العصبية ، بعيداً عن الزمان والمكان ، يشكل رداً على مذهب ابن سلام في تقويم الشعر وتصنيف الشعراء . وهو في ذوقه الفني هذا ، يخالف كبار النقاد القدماء كأبي عبيدة والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء ، وهم ممن اعتمد عليهم ابن سلام واعتد بآرائهم ؛ إلا أن الجاحظ يتفق مع ابن سلام في اعتبار الصدق في القول لدى الشاعر من مقومات الجودة الفنية . فلم يجز الجاحظ للشاعر أن يخرج عن الحقيقة العلمية في سبيل فنه . ويظهر ذلك في مناقشته لأخطاء أبي نواس وإبرازها في هجائه لأبان اللاحقي[2] .

---

(١) الحيوان ج ٢ / ص ٢٧ .

(٢) الحيوان ج ٤ / ص ٤٤٨ .

٦" ـ كلاهما أدرك الصلة بين الأدب والبيئة :

لقد أدرك الجاحظ أثر البيئة في الأدب عامة والشعر خاصة ؛ وهذا ما أدركه ابن سلام إلا أن الجاحظ طوّر كثيراً هذا المفهوم وتوسع فيه لدرجة أنه نظر في مجمل دواعي الشعر ، والقول فجعلها ثلاثة دواعي هي ، الطبع : « الحظوظ والغرائز » ، والبيئة : «البلاد»، والجنس : « الأعراق » . فكانت نظرته إلى دواعي الشعر أقدر على تفسير ظواهر أدبيـة كثيرة ، وأشمـل من فكرة ابن سلام عن البيئة وأثـرها ؛ فاختلف مـوقف الجاحظ عن مـوقف ابن سلام من أثر البيئة في لشعر ، وخالفه أيضاً في اعتباره مظهراً من المظاهر يساعد على كثرة الشعر أو قلته ، وبهذا لم يعتبر الجاحظ أن عاملاً واحداً ، كـالحروب ، يكفي لاكثـار شعر قـرية أو قبيلة وذلـك حيث يقول : « بنـو حذيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحسد العرب لهم على دارهم ، وتحومهم وسط أعدائهم ، حتى كأنهم وحـدهم يعدلـون بكرا كلها ، ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقل شعراً منهم ، وفي إخوتهم عجل ، قصيد ورجز وشعراء ورجّازون ، وليس ذلك لمكان الخصب ، وأنهم أهـل مـدر ، وآكلو تمر ، لأن الأوس والخـزرج كذلـك ، وهم في الشعر كـما قد علمت . وكذلك عبد القيس النازلة قرب البحرين فقد تعرف أن طعامهم أطيبُ من طعام أهل اليمامة ، وثقيف أهل دار ناهيك بها خصباً وطيباً ، وهم وإن كـان شعرهم أقـل ، فإن ذلـك القليل يـدل على طبـع في الشعر عجيب ، وليس ذلك من قبل رداءة الغذاء ، ولا من قلة الخصب الشاغل والغنى عن الناس ، وإنما ذلك على قدر ما قسم لهم من الحـظوظ والغرائـز والبلاد والأعراق مكـانها »[1] . ففي هذا الـرأي رد على مفهـوم ابن سلام، وكذلك مفهوم شيخه الأصمعي حول البيئة . وتحـول عنه إلى مفهـوم آخر خاص بالجاحظ نفسه . فلقـد نقض الجاحظ رأي ابن سـلام في البيئة وفي

---

(١) الحيوان ج ٤ / ص ٣٨٠ و٣٨١ .

دواعي الشعر . إذن ، فالبيئة عند الجاحظ هي أحد ثلاثة عوامل مؤثرة في الأدب ، وعامل أساسي مؤثر في كثير من مظاهر الحياة والفكر . وذلك ما أملته عليه بيئته الفكرية وأغنته به ثقافة عصره .

٧" ـ كلاهما نظر في نشأة الشعر عند العرب :

وكما فطن ابن سلام إلى النظر في نشأة الشعر عند العرب ، كذلك فطن الجاحظ إلى الحديث على نشأة الشعر عند العرب ، إلا أنه قارن الشعر العربي بالشعر عند الأمم الأخرى من الروم والفرس واليونان . وخرج من ذلك باعتقاد أن الشعر أحدث من الفلسفة وكتب العلم ؛ بعد إطلاعه على ما نقل من فلسفة اليونان ، وعلومهم ، وحكمة الفرس ، وأنظمة الرومان ؛ ويقول ان « بطليموس وارسطاطاليس ومعلمه أفلاطون وديمقراطس . . . قد كتبوا قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور والأحقاب قبل الأحقاب »[1] . كذلك اعتبر الجاحظ أن ما عند الأمم الأجنبية من شعر لا يعد بنظره شعراً ، وأن الشعر العربي يفوق الشعر الاجنبي قوة تأثير وقوة تعبير . وهو التجربة الانسانية الأمثل . فهو قد قارن بين طبيعة الوزن في الشعر العربي ، وطبيعة الأوزان الأجنبية ، طبعاً ، كما ترجمت له في عصره يومذاك . فاستنتج أن « فضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب »[2] . كذلك قارن بين طبيعة الشعر العربي والشعر الأجنبي فاعتبر أن الشعر العربي يتفوق على الشعر الأجنبي تفوقاً كبيراً حيث قال : « وما الفرق بين أشعارهم ـ أشعار العرب ـ وبين الكلام الذي تسميه الروم والفرس شعراً ؟ »[3] .

---

(١) كتاب الحيوان ج ١ / ص ٧٤ .

(٢ و٣) البيان والتبيين ج ١ / ٢٩٥ .

ويتفق الجاحظ مع ابن سلام في أن الشعر العربي بدأ بمهلهل بن ربيعة وامرىء القيس بن حجر، وهما من أقدم الشعراء العرب عنده . ويفترض أن قيام الشعر العربي قد بدأ قبل الاسلام بمئة وخمسين عاماً أو بمئتين .

أما ابن سلام فقد قدّم بعض نماذج من الشعر القديم نسبها إلى بعض المعمرين من الشعراء ولقد سبق الحديث في صحة نسبة هذه النماذج إلى قديم الشعر العربي وصحة وجود هؤلاء الشعراء . وأثبت رأيه في هذا المجال[1] ، وحدد بداية الشعر التام فذكر تاريخ نشأة القصيدة في الشعر العربي ، وانتقالها بين القبائل[2] .

ولعل الجاحظ أخذ عن ابن سلام هذا الرأي في أن الشعر العربي قد بدأ بالمهلهل بن ربيعة ، أول من قصد القصائد . إلا أن الجاحظ تصدى بالبحث لأغراض البيان والبلاغة والفصاحة وغيرها من الأغراض التي لم يتطرق إلى الخوض فيها ابن سلام من قبل . .

فقد درس الجاحظ البلاغة عند العرب وسائر الأمم المعروفة في عصره من فرس وروم وهند ويونان . . كما درس اللفظ والموسيقى ومناسبة القول لمقتضى الحال ، وهو باب من أبواب البيان والبلاغة ، كذلك درس الخطابة عند العرب وعند غيرهم من الأمم . وتناول بحثه المعاني ، وعلاقتها بالألفاظ . . وطرق باب المصطلحات البلاغية ؛ فتناول بالدرس علم البديع والكناية والمجاز والتشبيه . وكان بذلك أسبق من قصد إلى درسها في عصره .

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٨ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٢٢ و٣٤ في ط. شاكر .

الخاتمة
قيمة الكتاب

ويظل كتاب ابن سلام « طبقات الشعراء » ، على هذه المآخذ التي يحسن أن نأخذها بكثير من الحذر والحيطة ، وخصوصاً إذا أغفل أصحابها الظروف الذاتية ، والموضوعية ، وعامل الزمن من بينها ، التي في ضوئها وضع ابن سلام كتابه ، ونال ما ناله ، أثناء رحلته الطويلة إلينا ، من التلفيق والاختلاط والنقص والضياع ، بفعل الرواية مرة ، وبفعل النسخ والنقل مرة أخرى . . فيظل « الطبقات » رغم كل ذلك ، من أهم ما كتب في النقد الأدبي ، وتاريخ الأدب عند العرب في عصر ابن سلام ؛ ويظل صاحبه من أجلاء النقاد صحة ذهن ونفاذ بصيرة ، بما بسط من القول ، وأوضح من الدلائل ، وبيّن من العلل . فقد أوصل ما اتصل به السابقون من علماء عصره ، وتناوله تناولاً حسناً ، وزاد عليه زيادات قيمة .

ففي « طبقاته » صورة ناطقة لحياة النقد في القرن الثاني للهجرة ، مذ كان ذوقياً في الجاهلية واستحال منهجياً بين يدي ابن سلام ؛ أول عهده بالمنهجية والتأليف والتصنيف ؛ فجاء معرضاً للأذواق المختلفة والأذهان المثقفة ، التي خاضت فيه .

ولقد كانت الأفكار في النقد مبعثرة لا يربطها رابط ولا يجمعها مؤلف جامع حتى وصل ابن سلام ، فضم أشتاتها ، وألف بين المتشابه منها . .

ثم إن الأصول التي عرفت قبله في النقد لم توطد ولم تؤكد ولم تستقر وترسخ ، إلا في كتابه « طبقات الشعراء » . هذا إلى أن الكتاب أقدم وثائق النقد المدونة ؛ فيه كثير من آراء الأدباء واللغويين التي انتفع بها فيما بعد ، من كتبوا في نقد الأدب ، أو في سير الشعراء وأخبارهم ، كالآمدي (٣٧٠ هـ) ، صاحب الموازنة بين الطائيين ، وأبي الفرج الأصبهاني (٣٥٦ هـ) الذي نقل عن طبقات ابن سلام أخبار الكثير من الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، وهذا ما تشهده في عشرات المواضع من كتاب الأغاني ، وفي « الموشح »[1] ، عن إبراهيم بن شهاب (٣٥٦ هـ / ٩٧٠ م)[2] ، عن أبي خليفة (٣٠٥ هـ / ٨٨٥ م) ، وأيضاً في « الأمالي »[3] . . .

وحسب كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلام أن يكون جماع القول في الشعر العربي ، في الجاهلية والاسلام .

وحسب ابن سلام أنه يعتبر أول من حاول ، في تاريخ النقد العربي ، أن يدرس الشعر والشعراء العرب ، هذه الدراسة المنهجية . . وحسب كتابه « طبقات الشعراء » أنه قد شكّل اللبنات الأولى للنقد المنهجي الذي يقوم على أسس علمية من حيث دراسة طبيعة الشعر ؛ ومن حيث توجهه إلى تحرير النصوص الأدبية وتحقيقها ، وإخراج الأصيل من الزائف الدخيل ،

---

(١) الموشح للمرزباني (٣٨٤هـ / ٩٩٨م) نشره علي محمد البجاوي ١٩٦٥ في القاهرة .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن شهاب ، أبو الطيب العطار ، كان أحد متكلمي المعتزلة ومن الفقهاء على مذهب العراقيين ، له كتاب « مجالس الفقهاء ومناظراتهم ، روى عنه أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني صاحب « الموشح » ، وقال المرزباني : « عاشرني في منزلي أربعين سنة ، معاشرة متصلة ، ومات في شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦هـ عن أربع وثمانين أو خمس وثمانين . تاريخ بغداد ج ٦/ص ١٦٧ ، والفهرست ص ٢٤٧ ، ولسان الميزان ج١/٩٧ .

(٣) الأمالي لأبي القاسم الزجاجي .

والتنبيه إلى صلة الشاعر بما يروى له من شعر ، وإدراك الصلة بين البيئة والأدب ، والاشارة الذكية إلى تأريخ نشأة الشعر ، وعلوم اللغة ؛ فضلاً عن عقد المفاضلة والموازنة بين الشعراء وتصنيفهم في طبقات ، وفق أسس ومبادىء اصطفاها لنفسه ؛ مما جعل لهذا الكتاب أثره البعيد في دراسات النقاد اللاحقين ، وفي مختلف الدراسات الأدبية ، القديمة منها والمعاصرة ، لدرجة كبيرة ؛ حتى ليكاد يندر ألاّ نجد أثراً له في أي مؤلف يتناول تاريخ النقد الأدبي أو يتصدى لدراسة الشعر والشعراء . فما من ناقد أو باحث في الأدب ، أو عالم من علماء العربية ، إلا ويشير إليه بهذا القدر أو ذاك .

ولا تقتصر قيمة « طبقات » ابن سلام على أنه أقدم كتاب وصل إلينا من كتب قدماء نقاد الشعر والأدب ، أو طليعة كتب النقد في الأدب العربي ؛ أو على ما جمعه من آراء قيلت في الشعر والشعراء ، وأقوال رويت عن الأدباء واللغويين في نقد الشعر ، وفي كلام على العشراء . فقيمة الكتاب تكمن في صنيع صاحبه ، وفي أسسه التي أرسى عليها نقده للشعر . في تمحيصه تلك الآراء وتقريبها من روح العلم ، في فحصه ونظره وعلمه وثقافته ، في صحة روايته عمن مضى من أهل العلم ، في تنزيله الشعراء في منازلهم ، واحتجاجه لكل منهم ، وبإسناد رأيه في تعادل أهل كل طبقة وتكافئهم . إن فضل ابن سلام على النقد ، يعود إلى ريادته المنهج العلمي . فإذا كان الأدباء قد اكتفوا بملاحظات في النقد ، وإذا كان اللغويون قد تعمقوا في الفهم وفي التعليل ؛ فإن ابن سلام قد درس الأدب ، وبحث المسائل الأدبية ، بحث عالم استوفى روح عصره وثقافته ، في الاستيعاب والشرح والتحليل ، فكشف عن الأسباب ، وعلل المسببات ؛ فاستحق سمو المنزلة ، وفاز باهتمام ودراسة الدارسين ، فكان أول من أسس للنقد المنهجي عند العرب .

المصادر والمراجع

ـ ألف ـ

ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي ، (٦٠٠ هـ ـ ٦٦٨ هـ / ١٢٠٣ / ١٢٧٠ م) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء . نشره في القاهرة أوجست مولر ، ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م .

ابن الأثير ، علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) : الكامل في التاريخ ، ط. عبدالوهاب النجار ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م . وط. المطبعة الأزهرية ١٣٠١ هـ ، وط. ليدن ١٨٥١ ـ ١٨٧٦ م ، وط. دار صادر بيروت ١٩٦٦ .
ـ اللباب في تهذيب الأنساب ط ـ بغداد ـ المثنى .

ابن الأنباري ، (٥٥٧ هـ) : ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ـ تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، المعارف ، بغداد ١٩٥٩ .

ابن خلدون ، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ ـ ١٤٠٦ م) ، المقدمة ، ط. القاهرة ١٩٥٧ تحقيق علي عبدالواحد وافي .

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم (٦٨١ هـ/ ١٢٨٣م): ـ **وفيات الأعيان** ، ط. مصر ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ ، وط. مصر ١٩٤٨ تحقيق أحمد فريد الرفاعي ، وط. مصر ١٩٣٦ .

ابن تغري بردى ، يوسف الأتابكي، (٤هـ /١٤٦٩م) : ـ **النجوم الزاهرة** في أعيان مصر والقاهرة دار الكتب ـ القاهرة ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ م .

ابن رشيق ، (٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٣ م): **العمدة** : تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط. دار السعادة بمصر ١٩٥٥ م.

ابن سلام ، محمد الجمحي (٢٣١ ـ ٢٣٢ هـ / ٨٤٥ ـ ٨٤٦ م) : **طبقات الشعراء** ، تحقيق ج. هل ، ط. ليدن ١٩١٦ ، وط. القاهرة ١٩٢٠ م ، **وطبقات فحول الشعراء** ، تحقيق محمود محمد شاكر ط. دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م .

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن عبدالله الشافعي (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) ، **تهذيب التاريخ** ، ط. دمشق (١٣٢٩ ـ ١٣٤٩ هـ / ١٩١١ ـ ١٩٣٠ م) هذبه ورتبه عبدالقادر بن أحمد بن بدران (١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ م) .

ابن فارس ، أبو الحسن أحمد (٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) ، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** ، ط. مؤسسة بدران بيروت (١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م) ، نشر بأشراف رجيس بلاشير وجبور عبدالنور .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م ، **الشعر والشعراء** ، ط. القاهرة ١٣٦٤ هـ ، تحقيق أحمد محمد شاكر .

ـــ **المعارف** ، ط. القاهرة ١٩٦٠ ، تحقيق ثروت عكاشة .

ـ عيون الأخبار ، ط. برلين ١٩٠٠ ، تحقيق بروكلمان ، وط. دار الكتب بمصر (١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م) ، وط. القاهرة ١٩٣٩ م .

ابن الشجري ، ابن أحمد العلوي (٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) ، مختارات شعراء العرب ، شرح محمود أحمد الزناتي ، القاهرة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م) .

ابن المعتز ، أبو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل العباسي (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

ـ طبقات الشعراء ، ط. دار المعارف بمصر (دون تاريخ) . تحقيق عبدالستار أحمد فرج .

ـ ديوان ابن المعتز .

ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) ، الفهرست ، ط. ليبزغ (١٨٧١ ـ ١٨٧٢ م) تحقيق فلوجل ، وط. مصر ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ م .

الأصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي المرواني (٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) : الأغاني ، ط. ساسي ، بولاق ١٢٨٥ هـ (في ٢٠ جزءاً) ، وط. بيروت ١٩٥٦ (في ٢١ جزءاً) ، وط. دار الكتب المصرية ١٩٣٦ (في ٢٣ جزءاً) وط. دار الثقافة بيروت في ٢٥ جزءاً .

الأسدي ، ابن قاضي شهبه (٨٥١ هـ ـ ١٤٤٧ م): طبقات النحاة واللغويين (مخطوط) مصور عن نسخة الظاهرية في مكتبة الجامعة الأميركية بيروت برقم (م خ ٣٥١).

الأصمعي ، أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك (٢١٦ هـ / ٨٣١ م) :

ـ **الأصمعيات** ، ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٤ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، وعبدالسلام هارون .
ـ **فحولة الشعراء** ، ط. القاهرة ١٩٧١ ـ نشره تـوري . دار الكتاب الجديد تقديم صلاح الدين المنجد .

الآمدي ، (٣٧٠ هـ ٩٨٠ م : **الموازنة** ، تحقيق الدكتور أحمد صقر ، ط. دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ م.

أمين ، أحمد ، أحمد أمين : **النقد الأدبي** ، ط. دار الكتاب العربي ، بيروت (في جزئين) ـ الطبعة الرابعة (١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) .

أبو بكر محمد ، (٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) ؛ وأبو عثمان سعيد (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) : **الأشباه والنظائر أوحماسة الخالديين** (ابنا هاشم الخالدي) ط. دار الكتب بمصر ١٣٤٥ هـ .

أبو تمام (الشاعر) : (٢٣١ هـ / ٨٤٦ م) : **الحماسة** : ط. بولاق ١٢٨٦ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩٦ هـ.
القاهرة ١٣٣١ / ١٩١١ م.
ط. لنكو ١٢٩٣ / ١٨٧٧ م .
ط. بيروت ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨ م.

أبو غالب ، عبدالحميد بن يحيى بن سعد الأصغر (الكاتب) (١٣٢ هـ / ٧٥٠ م): ـ **رسالة عبدالحميد إلى الكتاب** ، نشرت في تونس ١٣١٨ هـ، بالمطبعة الرحمانية .

ابو فراس ، بدرالدين الحلبي النعساني : ـ **نهاية الأرب في شرح معلقات العرب** ط. القاهرة ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م .

أبو هلال العسكري ، (٣٩٥ هـ/ ١٠٠٤ م): الصناعتين ـ تحقيق محمد

علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، البابي الحلبي ، مصر ١٩٧١ م.

- ب -

البحتري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد (٢٠٥ - ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) : **حماسة البحتري** . ط. بيروت ١٩١٠ قدّم لها الأب لويس شيخو ونشرها كمال مصطفى بالقاهرة ١٩٢٩ م.

بدوي ، أحمد (دكتور) : **أسس النقد الأدبي عند العرب** ، ط. م. نهضة مصر بالفجالة ق. ١٩٥٨ .

بروكلمان : كارل : **تاريخ الأدب العربي** : ط (٢) القاهرة ١٩٦٨ ترجمة د. عبدالحليم النجار .

البغدادي ، الخطيب (٤٦٣ هـ / ١٠٦٣ م) وهو الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** - ط. (أولى) مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد ومطبعة السعادة بجوار محافظة مصر (١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م) .

البغدادي ، عبدالقادر (١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م) : **خزانة الأدب** ، ط. بولاق (١٢٩٩ هـ) (في أربعة أجزاء) .

البلاذري ، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن صابر البغدادي (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) :

- **أنساب الأشراف** ، ط. القدس ١٩٣٦ ، وط. القاهرة ١٩٥٩ تحقيق محمد حميد الله .
- **فتوح البلدان** ، ط. القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٥٧ تحقيق صلاح الدين المنجد .

البستاني ، بطرس : (فهرست البستاني) ـ مطبعة المعارف ، بيروت ١٨٨٣ م .

البستاني فؤاد أفرام دكتور : دائرة المعارف ـ ١٩٥٦ . في ١٣ جزءاً .

بلاشير ، رجيس : تاريخ الأدب العربي في (جزئين) ط. وزارة الثقافة بدمشق ترجمة د. كيلاني ١٩٧٣ .

بشار بن برد ، أبو معاد العقيلي (١٦٧ هـ / ٧٨٣ م) : ديوانه ، جمعه وشرحه أحمد حسنين القرني ، القاهرة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م .

ـ ث ـ

الثعالبي ، أبو منصور عبدالملك بن محمد إسماعيل الثعالبي النيسابوري (٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م) .

ـ لطائف المعارف ط. القاهرة نشر دي يونغ ـ ليدن ـ ١٨٦٧ ـ تحقيق إبراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي ، البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٠ م .

ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ـ مطبعة دار السعادة بمصر ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

ثعلب (٢٩١ هـ/٩٠٣م) : ـ قواعد الشعر ، تحقيق رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٩٦٦ م .

ـ ج ـ

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ / ٧٦٧ ـ ٨٦٨ م) : البيان والتبين ، ط. مطبعة الفتوح الأدبية ـ القاهرة ١٣٣٢ هـ (٣ أجزاء) .

ـ رسائل الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة السنة المحمدية مصر ١٩٦٤ .
ـ الحيوان : تحقيق عبدالسلام هارون ، مصر ، ١٩٣٨ (في ٧ أجزاء) .

الجهشياري ، أبو عبدالله محمد بن عبدوس الكوفي (٣٣٠ هـ / ٩٤٣ م) .
ـ كتاب الوزراء والكتاب ، ط. مصر ١٩٥٠ ، تحقيق د. مصطفى السقا وآخرين .

ـ ح ـ

حتي ، فيليب ، تاريخ العرب ، الطبعة العربية الرابعة ـ دار الكشاف بيروت١٩٦٥ ،وط. القاهرة ١٩٥٣ ، ترجمة محمد مبروك نافع .

حسين د. ، طه: في الأدب الجاهلي ، ط. دار المعارف بمصر ١٩٢٧ م، الطبعة الثانية .

ـ د ـ

دائرة المعارف الاسلامية : ـ مجلد ١٥ ـ مادة « طبقات » ـ مصر ١٩٣٣ م .

الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) : ـ الأخبار الطوال ، ط. مصر ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م ، وط. القاهرة ١٩٦٠ تحقيق عبدالمنعم عامر .

ـ ذ ـ

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان التركماني المصري

(٧٤٨ هـ / ١٢٤٧ م) :ـ ميـزان الاعتـدال ، ط. مصـر ١٣٢٥ هـ . ١٩٠٧ م.

- ر -

الـرازي ، أبو محمـد عبدالـرحمن بن أبي حـاتم بن إدريس التيمي الحنـظلي (٢٤٠ ـ ٣٢٧ هـ / ٨٥٤ ـ ٩٣٩ م) .
ـ الجـرح والتعـديـل ، نشـر في ستـة أجـزاء في حيـدرآبـاد ، ١٣٥٤ هـ ـ ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٤ ـ ١٩٣٦ م .

- ز -

الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي (٣١٦ ـ ٣٧٩ هـ / ٩١٨ ـ ٩٨٩ م)ـ طبقات النحويين واللغويـين ـ نشره محمـد أبو الفضل إبراهيم في مطبعة دار السعادة بمصر (بدون تاريخ).

الزجاجي ، أبو القاسم عبـدالرحمن بن إسحـاق (٣٣٧ هـ / ٩٤٩ م) أو (٣٣٩ هـ ٩٥١ م) :ـ الأمـالي ، نشـرهـا أحمـد بن الأمـين الشنقيطي في القاهرة ١٣٢٤ هـ .

الزمخشري ، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ / ١٠٧٤ ـ ١٩٤٣ م) :ـ المفصـل : ط. المـطبعـة البهيـة ، القـاهـرة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م وط. مصـطفى محمـد ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .

زيدان ، جرجي :ـ تاريخ التمدن الاسلامي ، ط. القـاهرة ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م وط. ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .
ـ تاريخ آداب اللغة العربية (٤ أجزاء) ، مكتبة الحياة بيـروت

١٩٦٧م، ط (١) القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .

- س -

سلام ، محمد زغلول :- تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ، ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م .

- أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ط. مصر ١٩٥٢ م .

سلوم ، داود (دكتور) : النقد العربي القديم ، ط. مكتبة الأندلس ببغداد١٩٦٩ م

السمعاني (٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م): - الانساب ، تصحيح الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلي ، المطبعة العثمانية ، حيدرآباد ، ط (١) ١٣٨٣ هـ.

السيرافي ، أبو سعيد (٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م) :- طبقات النحويين البصريين ، نشره كرنكو في الجزائر ١٩٣٦ م .

السيوطي ، جلال الدين (١٠٥٥ هـ / ١٦٤٥م): - المزهر في علوم اللغة - ط. البابي ، الحلبي ، مصر ١٩٥٨ م .- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : طبع بالقاهرة سنة ١٩٢٦ م .

- تاريخ الخلفاء ط. دمشق ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ - ١٩٣٣ م .

- ش -

الشايب ، أحمد (الأستاذ) : - أصول النقد الأدبي - مكتبة النهضة المصرية ط. ٧ / ١٩٦٤ م .

الشريف المرتضى ، علي بن الحسن الموسوي (٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م) : - الأمالي : ط. القاهرة / ١٩٥٤ م .

- ض -

الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الكوفي اللغوي (١٧٨ هـ / ٧٩٤ م) : ـ **المفضليات** : ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٤ تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون .

ضيف ، شوقي : ـ **الفن ومذاهبه في النثر العربي** ـ ط. دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٨ .

- ط -

طبانة ، بدوي (دكتور) : **دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث** ، مطبعة الانجلو مصرية ، ط ٤ / ١٩٦٥ م .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) : **تاريخ الأمم والملوك** : ط. المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٧ م ، وط. ليدن ١٨٧٩ ـ ١٩٠١ تحقيق دي غويه ، وط. القاهرة ١٣٥٨ هـ ، زط. دار القاموس الحديث ـ بيروت (بدون تاريخ) .

طه ، أحمد إبراهيم : ـ **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري** ، ط. دار التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٧ م .

- ع -

عباس ، إحسان (دكتور) : **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** ؛ ط. دار الأمانة ، مؤسسة الرسالة ١٩٧١ م.

علي ، محمد كردعلي : رسائل البلغاء (اختيار وتصنيف) ، ط ٤ ، مصر ١٩٥٤ م .

- ف -

الفراء ، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين (٤٨٥ هـ / ٩٥١ م) : - طبقات الحنابلة . ط. القاهرة ١٣٤٧ هـ ، وط. دمشق ١٣٥٠ هـ .

فيصل ، شكري (الدكتور) : مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي . مطبعة دار الهنا ، مصر ، ١٩٥٣ م .

- ق -

القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ، (٢٨٨ - ٣٥٦ هـ / ٩٠١ - ٩٦٥ م) : - الأمالي ، نشر دار الكتب بالقاهرة ١٣٤٨ هـ .

القرشي ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (أواخر القرن الثالث الهجري) : - جمهرة أشعار العرب : ط. بولاق ١٣٣٨ هـ ، وط. مصر ١٩٢٦ م .

القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف (٦٤٦ هـ/١٢٤٨م): - أنباه الرواة على أنباه النحاة : نشر الأجزاء الثلاثة الأول منه محمد أبو الفضل إبراهيم في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٩٥٠ - ١٩٥٥ م) .

- م -

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي (٢٨٥ هـ /

٨٩٨ م) : ـ الكامل في اللغة والأدب ـ تحقيق الدكتور محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

المرزباني (٣٨٠ هـ / ٩٩٠م) أو (٣٨٤ هـ) : ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ط. جمعية نشر الكتب العربية ، مصر ، ١٣٤٣ هـ .

ـ معجم الشعراء ، نشره كرنكو في القاهرة ، ١٣٥٤ هـ .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسن (٣٤٦ هـ / ٩٥٥ م) : ـ التنبيه والاشراق ، ط. مكتبة خياط بيروت ١٩٦٥ م تحقيق غويه .

ـ مروج الذهب : ط. مصر ١٣٤٦ هـ ، وط. القاهرة ١٩٥٨ تحقيق محيى الدين عبدالحميد ـ في أربعة أجزاء ـ .

• • •

المعلقات السبع : شرح الزوزني ، ط ٢ ، دار الجيل بيروت ١٩٧٢ .

المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، أو (القصائد العشر الطوال) ؛ نشر أحمد بن الأمين الشنقيطي ،ط. القاهرة ١٣٤٥ هـ .

• • •

المقدسي ، أنيس : أنيس المقدسي (دكتور) : ـ مقدمة لدراسة النقد في الأدب العربي ، ط. بيروت ، الأولى ١٩٥٨ م .

مندور ، محمد : محمد مندور (دكتور) : النقد المنهجي عند العرب ، ط. مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ١٩٤٨ .

- ي -

ياقوت ، أبو عبدالله بن عبدالله الرومي الحموي (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) :

ـ معجم البلدان : ط. ليبزغ ١٨٦٦ م ، وط. مصر ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ ـ ١٨٨٩ م ، وط. بيروت ١٩٥٥ ، وط. دار صادر بيروت ١٩٥٧ م .
ـ معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ط. مصر تحقيق مرجليوث (في سبعة أجزاء) (١٩٠٧ ـ ١٩٢٦ م) وط. الحلبي بمصر ١٩٣٦ .

اليعقوبي ، أحمد بن أبي واضح الاخباري (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) : ـ كتاب البلدان ، ط. ليدن ١٨٩٢ م ـ نشره غويه .

ثبت الموضوعات

تمهيد ..... (٧ - ١١)

الباب الاول

صورة العصر

(أ) ملامح الحياة السياسية في العصر الوسيط ..... (١٣ - ١٧)
(ب) الحياة الاجتماعية ..... (١٧ - ٢٠)
(ج) الحياة الفكرية والادبية ..... (٢٠ - ٢٩)

الباب الثاني

حياة ابن سلام وثقافته

(أ) ابن سلام في كتب التراجم ..... (٣١ - ٣٦)
(ب) اسمه ونسبه ..... (٣٦ - ٣٨)
(ج) مولده ، وأصله ، ومذهبه ..... (٣٨ - ٤٠)
(د) نشأته ..... (٤١ - ٤٢)
(هـ) وفاته ..... (٤٢ - ٤٣)
(و) ثقافته ..... (٤٣ - ٤٧)
(ز) مؤلفاته ..... (٤٧ - ٥٢)

الباب الثالث

التمهيد لحركة النقد الاولى ..... (٥٣ ـ ٥٤)
أ ـ مرحلة الاختيار ..... (٥٤ ـ ٥٦)
٢ ـ مرحلة الاختيار التوعي ..... (٥٧ ـ ٥٩)
٣ ـ مرحلة الاختيار وفق الذوق والاختصاص ..... (٥٩ ـ ٦٣)
٤ ـ مرحلة التصنيف الطبقي ..... (٦٣ ـ ٦٦)
٥ ـ نهج العلماء في الجمع والتدوين والتأليف ..... (٦٧ ـ ٧٤)

الباب الرابع

كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي

١ ـ طبع الكتاب ..... (٧٥ ـ ٧٦)
٢ ـ نسبة الكتاب ..... (٧٦ ـ ٧٧)
٣ ـ صحة النص ..... (٧٧ ـ ٧٨)
٤ ـ طبعة محمود محمد شاكر ..... (٧٩ ـ ٨٠)
٥ ـ وحدة الكتاب وصحة نسبته ونصه ..... (٨٠ ـ ٨٢)
٦ ـ إضافات شاكر إلى الكتاب ..... (٨٢)
٧ ـ تصرفه بإسم الكتاب وتبريره ذلك ..... (٨٢)
٨ ـ عرض موضوعات « طبقات فحول الشعراء » نشر شاكر (٨٣ ـ ٨٦)
٩ ـ ما أصاب الكتاب من تبديل ..... (٨٧ ـ ٨٨)
١٠ ـ متى ألف ابن سلام طبقاته ..... (٨٨ ـ ٩٠)
١١ ـ نهجه في تأليف الكتاب ..... (٩٠ ـ ٩٢)

الباب الخامس

مفهوم النقد عند ابن سلام

اولا : الشعر علم وثقافة ..... (٩٣ ـ ٩٥)

ثانيا : نقد الرواية وتحقيق النصوص ..... (٩٥ ـ ١٠٣)
ثالثا : تاريخ نشأة الشعر وعلوم العربية ..... (١٠٣ ـ ١١٥)
رابعا : المفاضلة بين الشعراء وتصنيفهم في طبقات .... (١١٥ ـ ١٣٠)
خامسا : الصلة بين الادب والبيئة في منهج ابن سلام . (١٣١ ـ ١٣٦)
سادسا : تقويم الكتاب ..... (١٣٦ ـ ١٤٨)

الباب السادس

الموازنة بين مذهب ابن سلام ، ومذهب معاصره الجاحظ

١ء ـ اسبقية طبقات الشعراء على « البيان والتبيين » ... (١٤٩ ـ ١٥١)
٢ء ـ منهجية التأليف بينهما ..... (١٥٧ ـ ١٥٣)
٣ء ـ كلاهما سجل للاخبار وآراء الرواة والعلماء ..... (١٥٣ ـ ١٥٤)
٤ء ـ مسألة الانتحال وتحقيق النصوص ..... (١٥٤ ـ ١٥٦)
٥ء ـ الموقف من الشعر والشعراء ..... (١٥٦ ـ ١٥٩)
٦ء ـ كلاهما أدرك الصلة بين الأدب والبيئة ..... (١٦٠ ـ ١٦١)
٧ء ـ كلاهما نظر في نشأة الشعر عند العرب ..... (١٦١ ـ ١٦٢)

● الخاتمة ..... (١٦٣ ـ ١٦٥)

قيمة الكتاب

● ● ●

المصادر والمراجع ..... (١٦٧ ـ ١٧٩)

● ● ●

ثبت الموضوعات ..... (١٨٠ ـ ١٨٣)